فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ـ ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هش ٢ اكتوبر سنة ١٩٢١

تفسير القرآن الحكيم

(١٥٤) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ
(١٥٥) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
(١٥٦) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ
كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٧) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ
لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ

كانت الوصايا العشر في الآيات الثلاث التي قبل هذه الآيات من حجج الله الادبية على حقية دينه القويم ، ووجوب اتباع صراطه المستقيم ، قفى بها على ما قبلها من الحجج العقلية على أصول هذا الدين ، ودحض شبهات المعاندين والممترين ، ولما كملت بذلك حجج السورة وبيناتها حسن أن ينبه هنا على مكانة القرآن في جملته من الهداية ووجوب اتباعه ، واعذار المشركين بما يعلمون به أنه لن يكون لهم عذر عند الله تعالى على ضلالهم بالجهل وعدم ارسال رسول اليهم اذا هم لم يتبعوه . وقد افتتح هذا التنبيه والتذكير والاعذار بذكر مايشبه القرآن في شرعه ومنهاجه مما اشتهر عند مشركي العرب وهو كتاب موسى عليه السلام فقال عز وجل

﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ سبق في هذه السورة وغيرها الجمع بين ذكر التوراة والقرآن للتذكير بالتشابه بينهما لان العرب كانوا يعلمون ان اليهود المجاورين لهم أهل كتاب اسمه التوراة ولهم رسول اسمه موسى وانهم أهل علم وشريعة وكان بعض عقلائهم يتمنى لو يؤتى العرب مثلما أوتي اليهود ويقولون انه لو جاءهم كتاب مثل كتابهم ليكونن أهدى منهم وأعظم انتفاعاً لما يعتقدون من امتيازهم عليهم بالذكاء والعقل وعلو الهمة

ولكن اختلف المفسرون في بدء هذه الآية بثم التي تدل على تأخر ما عطف بها عما عطف عليه . فذهب ابن جرير الى ان هذا عطف على (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) بحذف « قل » والتقدير : قل أيها الرسول لهؤلاء الناس « قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم » ووصاكم به وهو كذا وكذا — ثم قل لهم وأعلمهم اننا آتينا موسى الكتاب الخ وذهب الزمخشري الى انه عطف على وصاكم بطريق الالتفات بناء على ان هذه الوصايا قديمة وصى الله بها جميع الامم على ألسنة أنبيائها ، والتقدير : ذلكم وصاكم به على ألسنة الرسل ثم آتينا موسى الكتاب .. وهو ابعد في المعنى مما قبله ويمكن ايضاحه بأن موسى اعطي الكتاب — بعد الوصايا العشر التي بمعنى هذه الوصايا — فيه تفصيل احكام العبادات والمعاملات الشرعية كما ان أحكام القرآن التفصيلية تجيء بعد هذه الوصايا في السور المدنية — وحكى الحافظ ابن كثير رأي الامام ابن جرير وتعقبه بأن فيه نظراً وقال : ان « ثم » ههنا انما هي لعطف الخبر بعد الخبر

لا للترتيب كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) عطف بمدح التوراة ، و كثيرا مايقرن سبحانه بين الكتابين كقوله (ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا)وقوله أول هذه السورة (١) (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) وبعدها (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) الآية اه المراد منه وقد أورد شواهد أخرى من الآيات في هذه المقارنة

فهذا أحسن ماقيل في هذا العطف وكونه «بثم» لخصناه بأقرب تصوير، وقد نقل المفسرون الذين جاؤا بعد هؤلاء أقوالهم بتصرف ، جعلها في غاية التكلف، كما نقل ابن كثير قول ابن جرير بايجاز مخل لايتبين به مراده وقال ان فيه نظرا ولم يبين وجهه ،وانما رجح ان « ثم » لعطف الخبر على الخبر أي لالعطف الانشاء على الانشاء كما جعلها ابن جرير . وفيه ان عطف الخبر بثم يراعى فيه الترتيب كما يراعى في عطف الانشاء وعطف المفرد ولكن الترتيب قد يكون بحسب الزمان وقد يكون بحسب الذكر والانتقال من شيء الى آخر كما قالوه في تفسير قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) والبيت الذي ذكره فيه ترتيب لوراثة السيادة من الاب ثم من الجد . وفيه أيضا أن جملة « آتينا موسى الكتاب » فعلية وجملة « وأن هذا صراطي مستقيما » فيها قراءتان فهي جملة اسمية على احداهما وهي قراءة من كسر همزة « ان » وجملة انشائية على الأخرى وهي قراءة من فتحها كما تقدم فكيف جعل ابن كثير عطف الجملة الفعلية عليها هو الصواب الذي لامجال للنظر في صحته وفصاحته اللائقة بالتنزيل وجزم بأن عطف الجملة الانشائية على مثلها فيه نظر مستغن عن البيان والتأويل . والانصاف انه ليس في قول ابن جرير وقفة لصاحب الذوق السليم الا تقدير كلمة « قل » ولكن قرينته ظاهرة وان أحسن ماقاله ابن كثير هو التذكير بما تكرر في القرآن من القران بينه وبين التوراة لما بينهما من التشابه في كون كل منهما شريعة كاملة ، والانجيل والزبور ليسا كذلك . بل أكثر الاول وعظات وأمثال وأكثر الثاني ثناء ومناجاة ، ومن التشابه بين القرآن

(١) الصواب ان الآيتين المشار اليهما في وسط السورة

والتوراة ان هذه الوصايا التسع أو العشر في الآيات الثلاث ونظيرها في سورة الاسراء كانت من أول مانزل بمكة قبل تفصيل كل شيء من أحكام العبادات والمعاملات في السور المدنية، كما ان الوصايا العشر المشهورة كانت أول مانزل من اصول الدين قبل تفصيل سائر الاحكام المدنية. ووصايا القرآن أجمع للمعاني فهي تبلغ العشرات اذا فصلت، وقد روي عن كعب الاحبار ان وصايا سورة الانعام هنا عين وصايا التوراة والصواب ما قلناه آنفا ونحن نذكر نص وصايا التوراة من الفصل العشرين من سفر الخروج ليعرف به صحة قولناهو :

«أنا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية (١) لايكن لك آلهة أخرى أمامي (٢) لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق ، ولا ما في الارض من تحت ، ولا ما في الماء من تحت الارض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لاني أنا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي ، وأصنع احسانا الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي (٣) لاتنطق باسم الرب الهك باطلا ، لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا (٤) اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك ، لاتصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك ،لان في ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل مافيها ، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه (٥) أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الارض التي يعطيك الرب الهك (٦) لاتقتل (٧) لاتزن (٨) لاتسرق (٩) لاتشهد على قريبك شهادة زور (١٠) لاتشته بيت قريبك لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك »

ولما كان جل هذه الوصايا وتلك أصول دين الله على ألسنة جميع رسله حكمنا بأن كلام الكشاف في تقدير العطف وجيه من جهة المعنى وان كان الناظر اليه من جهة اللفظ وحده يعده تكلفا . ويؤيده قوله تعالى في سورة الشورى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وليس الدين المشترك الذي شرعه الله تعالى موصيا به هؤلاء الرسل وغيرهم الا التوحيد وأصول الفضائل والنهي عن كبائر الفواحش والمنكرات المذكورة، ثم قال تعالى في هذه الآية (أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا

فيه) كما قال في آخر وصايا الانعام (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فبهذا التشابه يقوى كون الخطاب بالوصية لجميع البشر الذين بعث اليهم خاتم الرسل وكون المراد بها ما أشير اليه في آية الشورى

وقوله تعالى « تماما على الذي أحسن » معناه آتينا موسى الكتاب تماما للنعمة والكرامة على من أحسن في اتباعه واهتدى به كما قال في أواخر ما نزل من القرآن (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقيل ان المعنى آتيناه الكتاب تماما كاملا جامعا لما يحتاج اليه من الشريعة كقوله (وكتبنا له في الالواح من كل شيء) جزاء على احسانه أو تماما على احسانه — التقدير الاول لابن كثير وجعله من قبيل قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما) وقوله تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) والثاني عزاه الى ابن جرير على جعل « الذي » مصدرية كقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) أي كخوضهم؛ وقول عبد الله بن رواحة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وثبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصرا كالذي نصروا

وما قدرناه أولا أبعد عن التكلف

وقوله تعالى « وتفصيلا لكل شيء » عام في بابه أي مفصلا لكل شيء من أحكام الشريعة كالعبادات والمعاملات المدنية والعقوبات والحرب « وهدى ورحمة » أي علما من أعلام الهداية وسببا من أسباب الرحمة لمن اهتدى به «لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون» أي آتاه الكتاب جامعا لما ذكر ليعمل به قومه ويجعلهم محل الرجاء للايمان بلقاء الله تعالى في دار كرامته التي أعدها للمؤمنين المهتدين بوحيه

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ أي وهذا القرآن الذي يتلى عليكم كتاب عظيم القدر أنزلناه كما أنزلنا الكتاب على موسى جامع لكل أسباب الهداية الثابتة الدائمة النامية الزائدة على ما في كتاب موسى — فالمبارك من البركة وهي الزيادة والنماء في الخير قيل انها من بركة الماء وقيل من برك البعير — وقد بينا من قبل مزايا القرآن على غيره من الكتب الالهية ﴿ فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ أي فاتبعوا ما هداكم اليه واتقوا ما نهاكم عنه وحذركم اياه لتكون رحمته تعالى مرجوة لكم في الدنيا والآخرة فان الكتاب هدى ورحمة كما صرح به فيما يلي تعليلا لانزاله

الذي جاءهم به بمثل ما أتى به من قبله من الآيات الكونية ، وهو أقوى منها دلالة على النبوة ، لان دلالته علمية عقلية ، ودلالتها وضعية أو عادية على أنها تشتبه بالسحر والشعوذة وسائر الغرائب الصناعية ، وقد وضحنا الفرق بينهما في غير موضع من تفسير هذه السورة (الانعام) واعتبر هنا بقوله تعالى في آخر سورة طه (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ؟ أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ؟ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى)

﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ هذا هو الجواب القاطع لكل تعلة وعذر فان القرآن بينة عظيمة كاملة من وجوه متعددة فتنكير البينة وما بعدها للتعظيم اذ البينة ماتبين به الحق وهو مبين الحق في العقائد بالحجج والدلائل ، وفي الفضائل والآداب واصول الشريعة وامهات الاحكام بما تصلح به امور البشر وشؤون الاجتماع ، وهدى كاملا لمن تدبره وتلاه حق تلاوته فانه يجذبه ببيانه وبلاغته الى الحق الذي قرره ، وعمل الخير والصلاح بين فوائده ومنافعه ، ورحمة عامة للبشر الذين تنتشر فيهم هدايته ، وتنفذ فيهم شريعته ، حتى الخاضعين لاحكامها من غير المؤمنين به فانهم يكونون آمنين في ظلها على انفسهم وأموالهم وأعراضهم أحرارا في عقائدهم وأديانهم مساوين للمؤمنين بهافي حقوقهم ومعاملاتهم ، عائشين في وسط خال من الفواحش والمنكرات ، التي تفسد الاخلاق وتولد الامراض ، وأما المؤمنون به فهو رحمة لهم في الدنيا والآخرة جميعا ، وهكذا كان وهكذا يكون ، وانما أنزلت هذه الآية في هذه السورة والمؤمنون قليلون مضطهدون ، والجماهير مكذبون ، والرؤساء يصدون من الكتاب ويصدفون

﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ؟ ﴾ الاستفهام هنا انكاري أي واذا كانت آيات الله مشتملة على ماذكر من البينة الكاملة والهداية الشاملة والرحمة الخاصة والعامة فلا أحد أظلم ممن كذب بها وأعرض عنها ولم يكتف بصدوفه عنها ، وحرمان نفسه منها ، بل صدف الناس أي صرفهم وردهم أيضا كما كان يفعل كبراء مجرمي قريش بمكة في أثناء نزول هذه السورة : كانوا يصدفون العرب عن النبي صلى الله عليه وسلم ويحولون بينه وبينهم لئلا يسمعوا منه القرآن فينجذبوا الى الايمان كما قال (وهم ينهون عنه وينأون عنه وان

الإسلام وسياسة الحلفاء

نقلنا هذه المقالة عن الجزءين ٩ و ١٠ من المجلد الاول من مجلة الفجر التونسية الغراء

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان أعلاه للدكتور انسباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية الكاتبة البليغة الآنسة «ماقالي بدانام» فأحببنا تلخيص ماحواه هذا الكتاب المهم لقراء الفجر ليكونوا على خبرة مما تخطه اليوم أقلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث العامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية.

قال الدكتور انسباطو : « لايخفى ان السياسة الاستعمارية لايمكن أن تكون واحدة في كل الجهات والاقاليم وانها تختلف طبعا باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستعمر بانفرادها وعقائد اهاليها وانتمائهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من الهجمات الخارجية والانقسامات الداخلية، فان الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل لاالمدنية التي تولدت منه من الصبغة العالية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للوفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأهم سبيل للتعارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشاراً حار فيه فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكر مايسمونه بالبانسلامزم (التعصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة مخيفة تترصد الفرص للقضاء على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسراره في زي مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتنفت في صلبها كل العقول على تباين مشاربها، وأفسحت مجالا واسعاً لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وهما صفتان ماوجدتا في قوم أو مدنية الا وبهضتا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ، ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم لبلوغ تلك المرتبة العالية الا مساعدة

أمة اوروبية لاتختفى تحت كلمات الرقي والتهذيب والحرية والاخوة التي تنشرها على الوتيهانية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية اذن فلا خوف مما يسمونه بالبانسلامزم الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها أولئك الانتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون، وما الحوادث المنسوبة للبانسلامزم الا حركات فكرية عادية لاخوف منها بل ربما أفادت المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة، ولذا لم يعد هناك موجب للسياسي الاوروبي ان يعني بتغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي، ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان يغني أو يفقر الممالك التي لها علاقة به

ثم نظر الدكتور ابنساملو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها الدول الاروباوية بمستعمراتها فابدى رأيه في كل منها ومما قاله في هذا الشأن

«ان سياسة فرنسة بالممالك التابعة لها وان نالت الارجحية نظرا لما امتازت به عن غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكري الا انها تفتقر الى فكرة ادارية واسعة بدونها لايمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال العظيمة التي قامت بها هناك» ثم قال «انه يجب ان ترتكز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظامات الاسلام معرفة دقيقة» ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد التي تستند اليها فأتى في هذا البحث العويص بافكار دلت على تضلعه من الفقه الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال «ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها، وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لاسبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا كما هم لا كما يراد ان يكونوا، والصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا الطريق انما هي التمييز بين ما لايتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل التغيير والتطور والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة ؛ لان هذا الدين له خاصية أساسية يجب ان لا نغفل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن حدوده الاصلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقاليم والاخلاق - ومن الغلط ان نعتقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هي قواعد موبدة تقضي على الاسلام بالانكماش والجمود بل انها قابلة للانطباق على نواميس الحياة العصرية

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدنية الحديثة — ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة إلمالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملاءمته لجميع الشعوب والاجناس مهما اختلفت منازلها والوانها ، الا انه يجب على الباحث الاوربي أن يتجنب الآراء الضالة والاغلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحتم على حكومة الخلافة اليوم الغاء كل ما قيل أو قرر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين ، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو اهمال أو مس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة فانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ما تراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسلما ترقى به الحياة والمدنية العصرية »

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أطوارها وشروطها فقال : « ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اتباع النبي الكريم (صلعم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال « لا يمكن ان تحل مسألة الخلافة حلا اوروبيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانهائها ولا يجوز لاوربة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكراههم على ذلك بوجه من الوجوه ، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة العلية عن كل سلطة مسيحية — وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تمادي انجلترة عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلص الدكتور انساطو الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقق أن سياسة التآخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان الفروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والعداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم — كما أكد وجوب الاعتراف بيقظة المسلمين وباحقية تطلعهم الى الرقي العلمي والاجتماعي قائلا « ان انتباههم أمر طبيعي

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدنية العامة وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد مابذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام ، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لايتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة العديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب الوانا بسبب الظروف الاجتماعية الحرجة المحاطة بها الى الآن فاذا أنجدنا هؤلاء المفكرين وأيدنا رغائبهم فاننا نجد منهم أثمن مساعدة سياسية ويعتقد الدكتور انسباطو انه يجب الحصول على ذلك أن نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقة عصرية وان تفتح لهم أبواب المدنية الغربية لانهم سيكونون دعائم السياسة الاسلامية واكبر العاملين لانهاض المجتمع الاسلامي لفائدتهم ولفائدة الامم الاروبية المشرفة عليهم لاضدها ـ ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اروبة المسيحية ان واجبها يقضي عليها باضاءة العالم الاسلامي بنور المدنية والعرفان اذ لاسبيل لان نجد بين المسلمين أشياعا متفانين في مصلحتنا بالوسائط التي استعملتها اروبة الى الآن كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والنشريات واستخدام أعوان لاهم لهم الا اكتساب المال أو امتلاك الذمم بوسائل الارشاء على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلامية لايمكن لها ولا نرغب ان تقبل بالتضحية لغاية مغايرة للغاية التي ترمي اليها ، وهنا اضع القاعدة الاساسية لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان تسمع نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لايتبدل وهي ان تسمح اروبة للمسلمين بان يعملوا لصالحهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقلب بيقينه المكين العوالم ويحرك الجبال » اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انسباطو جمع بين الحق والمصلحة المشتركة التي لايمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين ونصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشره والنهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثاله في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلمية فان لم يقبلها المنهومون اليوم فسيندمون غدا

القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن الجزء الخامس من مجلة العرفان

عني نخبة من علماء الافرنج بالبحث في اسباب رقي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا لذلك الكتب الضخمة واستفرغوا المجهودات الجمة وانفقوا الاوقات الثاسعة ، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في الاعصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الحنيف في اطراف المعمورة انما الفضل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقتها للفطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسمو مبادئه قد جابت اليه أقواماً دخلوا فيه أفواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا .فاصبحوا بنعمته اخوانا ، وعلى تأييد أعوانه والحماية بيضته انصارا وأخدانا

اهتدو بهديه وأشرقت على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم سبل التسداد وأنارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعمورة يسعون في تشريك الامم في هذا النور العظيم ويعملون على ايقاظ الشعوب الذين كانوا يناموذ في ليل من الجهل بهيم وشهد التاريخ وذات الاباء وأجمعت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الانناء رائدهم الصدق والاخلاص؛ وقائدهم العدل والاحسان؛ ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق ببني الانسان. اما الصفات التي ساد بها ففدث ماشئت عن ثبات وجلد ويقين في النجاح وصبر على البأساء والضراء، وشكر في حالتي الشدة والرخاء ؛ وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء .هذا الى عزم يقد الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتظافر على المصالح واعتصام بحبل الله في جميع الاحوال . هذه الصفات العالية اذا انطبعت في نفوس وهمم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أهم ارجاء العالم في ذلك التاريخ على ان اولئك العلماء الذين أشرنا اليهم في طالع هذا الفصل قد نظروا أيضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفضت الى تقلص ظل نفوذه من كثير من الاقاليم والولايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هـذا) فأطبقوا على ان ذلك نتيجة

لازمة تؤول اليها كل امة أخلدت الى الترف ومالت الى الراحة وجرت في اعقاب الشهوات وأهملت الاخذ باسباب الحزم وتقاعست عن مجاراة الامم الراقية في حلبات العمل، فنهم من يعزو الفشل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم الى يتوهمون انها تأمر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي، وهو وهم شائع عند كثير من الافرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علمائهم . والى القارىء الكريم مقتطفات من كلامهم تقوم انموذجا على ما وصلوا اليه من بعد الغور في المباحث العلمية ، ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية

قال بارتلمي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور وارسال الحبال على الغوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدى اليه قلة التثبت واعمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

«رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته بنفسه واعتماده عليها وماكان توكله على الله بأقل صدقا ،لكن كان يكتنفه حدود معقولة ولم يتعد قط الى ذلك التعامي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا القضاء والقدر، القرآن يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا لم نعثر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على مايشعر بخلع أشرف المدارك النفسانية (الارادة) وتعطيلها عن العمل

«وليست الاحالة على المقادير الا ضلة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب عليها الكسل وناءت بحمل واجباتها فأستنامت للاقدار ،وحكمتها في نفسها تفعل ماتشاء وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن عوائد الترف والاخلاد للراحة والنعيم فهو عجز عن العمل لاعقيدة وعلى كل حال فليس القرآن هو الذي يدعو اليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه وافتقاره لخالقه ووجوب الخضوع له والركون لعليائه ولكن ليس ثم ماينبىء بنبذ أجل قوة وأشرف ،وهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة .

«وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل »و « سبرنجر » فلتجمع صوتي

الى اصواتها وتقول : ان هذا ادين لدين عمل لافشل رغم معتقد الجمهور »

وقال غستاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة » في كتابه « حضارة العرب » ما يأتي :ـ

« القرآن لم يأمر الناس بترك السعي والعمل أو الانسلاخ عن خوض غمرات التنافس الحيوي فهو في هذا الموضوع لم يأت بأكثر مما في الكتب السالفة « التوراة » مثلا يعترف نخبة من الفلاسفة ان مجرى الامور لا يلحقه تبديل، ونظام الخليقة بيد مبدعة لا يعتريه تغيير، فقد قال لوثر : منقح الديانة المسيحية تتفق « معظم آيات الكتاب في صعيد واحد على مناسبة « الحكم الحر Lidre arditre » وهذه الآيات لا أحصي لها عدداً بل هي الكتاب بأجمه . وهذه عقيدة القضاء والقدر مفعمة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتها لا يشكون في وقوعها فهذا « أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بامه حاول جهده ايقاف هذا الامر فطفق يقدم النذور وانواع القربات للآلهة بدون جدوى الى ان ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بامه قاتل اباه كما هو مشهور . فالنبي العربي (صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشيء عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لابلاس » و « بنيتر » : ان علما (الله) يكتنفه في طرفة عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على اتساعها وتباعد اطرافها ويحيط خبرا بأحوال الكائنات التي وضعت فيها كبيرها وصغيرها دقيقها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه كعلمه بالماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين وديدن بعض فلاسفة العصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة لمكافحة النوائب والمضاضات . وقد كان العرب عاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقائهم ولا من انحطاطهم اه

(المنار) ان ما شرحناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة الجبر التي اتبعنا بها سنن من قبلنا وفتن بها كثير من المتكلمين والصوفية فكان لها ذلك التأثير حسبه كثير من علماء الغرب من الاسلام وما هو منه بل سرى الى اهله ممن قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٨٣	٨	باسا	أسه تعالى
٤٨٥	٥	ولوشاء	
٤٨٧	٢	احجه	حجة
»	٥	ن	ان
٣	٢		
»	٨	هده	هذا
٥٠٤	٢٨	انها	نبا
		[illegible]	
٥٠٥	٢٧	[illegible]	[illegible]
٥٠٧	٥	الى	التي
٥١١	١٧	[illegible]	[illegible]
»	٢٢	يجوب	يجاذب
٥١٢	٢١	شلو	شلوا
٥١٣	٢٠	تتساى	يتسامى
»	٥		الرأفة —
٥١٧	١٣	وافق	وافقت
٥١٨	٤	له	
٥١٩	١	وماقين	ومافتيء
»	١١	مطمع	مطمع فيه
٥٢٠	٩	واذا	اذا
»	١	اذا	اذ
٥٢٣	١١	زكي	ذكي
٥٢٤	٢١	لم يكن	لم يبق
»	٢٥	من القيام	من القيـ[illegible]
٥٢٦	٦	حار	اختار
٥٢٨	٤	مسكات	ملكة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٢٨	١٠	معصوصة	معضوضة
٥٢٩	١٦	والمروة	في المروة
٥٣٠	١	وكان	كان
»	٤	وفرصتها	وفرضها
»	١١	أول اتصال	الاتصال
»	١٢	تخيت	تخيتا
»	١٣	فيه	منه
٥٣١	٤	والتمعص	التعصب
٥٣١	٤	قطنوا	فطنوا لها
»	٥	الشيخ	مقالة الشيخ
٥٣٢	١٠	اعتزال	اعتزالا
»	٢٠	تحلي	على
»	٢٢	[illegible]	[illegible]
٥٣٣	١١	[illegible]	[illegible]
»	٣	كأخطأ	أخطأ
»	١٧	انقوا	اتقوا
٥٣٤	١٢	بهما	فيهما
٥٣٥	١٨	الشمس	والشمس
٥٣٦	٦	[illegible]	السبيل
»	٧	الامضاء	الرمضاء
٥٣٨	٢٢	حلاقا	اختلاق
٥٣٩	١	نجيا	نجينا
٥٤٢	٤	صغير	صغيرا
٥٤٥	٩	حادث	حادثا
»	٢٥	أن يستمحلو	[illegible] يستحلوا
٥٤٦	١	الارهاق	الاوهاق
»	٣	اتفاق	اتفاقات

توضع [illegible] والتي [illegible] ص ٩٠٤ م ١١ [illegible] في التاريخية المسلسل

الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد (١)

وانظر ان كنت ممن يعتبر ما ابتليت به هذه الامة من التقليد للاموات في دين الله حتى صارت كل طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالم من علماء المسلمين ولا تقبل قول غيره ولا ترضى به ، وليتها وقفت عند عدم القبول والرضى لكنها تجاوزت ذلك الى الحط على سائر علماء المسلمين والوضع من شأنهم وتضليلهم وتبديعهم والتنفير عنهم ، ثم تجاوزوا ذلك الى التفسيق والتكفير ، ثم زادوا الشر حتى صار أهل كل مذهب كأهل ملة مستقلة لهم نبي مستقل وهو ذلك العالم الذي قلدوه فليس الشرع الاما قال به دون غيره ، وبالغوا وغلوا فجعلوا قوله مقدما على قول الله ورسوله ، وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيء من الفتن والمحن؟ فان انكرت هذا فهؤلاء المقلدون على ظهر البسيطة قد ملأوا الاقطار الاسلامية فاعمد على كل مذهب (٢) وانظر الى مسألة من مسائل مذهبهم هي مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسوله ثم أرشدهم الى الرجوع عنها الى ما قاله الله ورسوله وانظر بماذا يجيبونك ، فما أظنك تنجو من شرهم ، ولا تأمن من معرتهم ، وقد يستحلون لذلك دمك ومالك وأورعهم يستحل عرضك وعقوبتك ، وهذا يكفيك ان كان لك فطانة سليمة ، وفكرة مستقيمة

فانظر كيف خصوا بعض علماء المسلمين ، واقتدوا بهم في مسائل الدين ، ورفضوا الباقين ، بل جاوزوا هذا الى ان الاجماع ينعقد بأربعة من علماء هذه الامة وان الحجة قائمة بهم ، مع ان في عصر كل واحد منهم من هو أكثر علما منه ، فضلا عن العصر المتقدم على عصره والعصر المتأخر عن عصره ، وهذا يعرفه كل من يعرف أحوال الناس ، ثم تجاوزوا في ذلك الى انه لا اجتهاد لغيرهم بل هو مقصور عليهم ، فكان هذه الشريعة كانت لهم لاحظ لغيرهم فيها ، ولم يتفضل الله على عباده بما تفضل عليهم ، وكل عاقل يعلم ان هذه المزايا التي جعلوها لهؤلاء الائمة رحمهم الله تعالى ان كانت باعتبار كثرة علمهم وزيادته على علم غيرهم فهذا مدفوع عند كل من له اطلاع على أحوالهم وأحوال غيرهم ، فان في أتباع كل واحد منهم من هو أعلم منه ، لاينكر هذا الا مكابر وجاهل ،

(١) تابع لما نشر في الجزء الماضي (ص ٥٧٩ ج ٨)

(٢) كذا والظاهر ان الاصل : فاعمد الى أهل كل مذهب

فكيف بمن لم يكن اتباعهم من المعاصرين لهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم

وان كانت تلك المزايا بكثرة الورع والعبادة فالامر كما تقدم فان في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم من هو اكثر عبادة وورعا منهم لاينكر هذا الامر الامن لم يعرف تراجم الناس بكتب التواريخ

وان كانت تلك المزايا بتقدم عصورهم فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون اقدم منهم عصرا بلا خلاف وهم أحق بهذه المزايا ممن بعدهم لحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »

وان كانت تلك المزايا لأمر عقلي فاهو ؟ اولامر شرعي فأين هو ؟ (١) ولا ننكران الله قد جعلهم بمحل من العلم والورع وصلاية الدين وانهم من أهل السبق في الفضائل والفواضل ، ولكن الشأن في التعصب لهم من اتباعهم القائل (٢) انه لايجوز تقليد غيرهم ولا يعتد بخلافه ان خالف ، ولا يجوز لاحد من علماء المسلمين ان يخرج عن تقليدهم وان كان عارفا بكتاب الله وسنة رسوله قادرا على العمل بما فيهما متمكنا من استخراج المسائل الشرعية منهما ، فلم يكن مقصودنا الا التعجب لمن كان له عقل صحيح وفكر رجيح ، وتهون الامر عليه فيما نحن بصدده من الكلام على ما يفعله المعتقدون للاموات وانه لايغتر العاقل بالكثرة ، وطول المهلة مع الغفلة ، فان ذلك لوكان دليلا على الحق لكان مازعمه المقلدون المذكورون حقا ، ولكان ما يفعله المعتقدون للاموات حقا وهذا عارض من القول أوردناه للتمثيل ولم يكن من مقصودنا

والذي نحن بصدده هو انه اذا خفي على بعض أهل العلم ماذكرناه وقررناه في حكم المعتقدين من للاموات لسبب من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها ولم يتعقل ماسقناه من الحجج البرهانية القرآنية والعقلية فينبغي ان نسأله ماهو الشرك؟ فان قال هوان تتخذمع الله الهاً آخر كما كانت الجاهلية تتخذ الاصنام آلهة

---

(١) الذي سمعناه من بعض شيوخنا المقلدين هو ان سبب حصرهم التقليد في فروع الفقه في أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل هوان مذاهبهم قد نقلت وخدمت فصارت كافية للامة وفقه سائر المجتهدين من علماء الامصار كسفيان الثوري والاوزاعي قد انقرضت — وهذا القول مردود أيضاً فان مذاهب آل البيت عليهم السلام قد نقلت أيضاً وفيها مؤلفات حافلة . ومذاهب علماء الصحابة وعلماء التابعين قد نقل الكثير الطيب منها أهل الحديث بأصح مما أقوال أبي حنيفة وأصحابه مثلا (٢) لعل الاصل « القائلين »

مع الله سبحانه (قيل له) وماذا كانت الجاهلية تصنعه لهذه الاصنام التي اتخذوها حتى صاروا مشركين ؟ فان قال كانوا يعظمونها ويقربون لها ويستغيثون بها وينادونها عند الحاجات وينحرون لها النحائر ونحو ذلك من الافعال الداخلة في مسمى العبادة — فقل له : لاي شيء كانوا يفعلون لها ذلك ؟ فان قال لكونها الخالقة الرازقة او المحيية او المميته فاقرأ ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المصرحة بأنهم مقرون بأن الله الخالق الرازق المحيي المميت وانهم انما عبدوها لتقربهم الى الله زلفى ، وقالوا هم شفعاؤهم عند الله ولم يعبدوها لغير ذلك ، فانه سيوافقك ولا محالة ان كان يعتقد ان كلام الله حق وبعد ان يوافقك أوضح له ان المعتقدين في القبور قد فعلوا هذه الافعال أو بعضها على الصفة التي قررناها وكررناها (١) في هذه الرسالة فانه ان بقي فيه بقية من انصاف وبارقة من علم وحصة من عقل فهو لامحالة يوافقك وتنجلي عنه الغمرة ، وتنقشع عن قلبه سحائب الغفلة ، ويعترف بأنه كان في حجاب ، عن معنى التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب ، فان زاغ عن الحق وكابر وجادل فان جاءك في مكابرته ومجادلته بشيء من الشبه فادفعه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق فانا لم ندع شبهة يمكن ان يدعيها مدع الا وقدأوضحنا أمرها ، وان لم يأت بشيء في جداله بل اقتصر على مجرد الخصام والدفع المجرد لما أوردته عليه من الكلام ، فاعدل معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن الى محجة السيف والسنان ، فآخر الدواء الكي : هذا اذا لم يمكن دفعه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير فان امكن فتقديم الاخف على الاغلظ عملا بقوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وبقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن)

ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ماجزم به السيد العلامة محمد بن اسماعيل الامير رحمه الله تعالى في شرحه لأبياته التي يقول في أولها : « رجعت عن النظم الذي قلت في نجدي » فانه قال : ان كفر هؤلاء المعتقدين للاموات هو من الكفر العملي لا الكفر الجحودي ، ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الاحاديث الصحيحة وكفر تارك الحج (٢) كما في

(١) كان الاصل قررناه وبيناه ولعله خطأ من الناسخ : (٢) المراد بما ورد في كفر تارك الحج قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ونحو ذلك من الادلة الواردة فيمن زنى ومن سرق ومن اتى امرأة حائضاً او امرأة في دبرها أو أتى كاهنا او عرافا أو قال لاخيه يا كافر. قال: فهذه الانواع من الكفر وان اطلقها الشارع على فعل هذه الكبائر فانه لايخرج به العبد عن الايمان ويفارق به الملة ويباح به دمه ، وماله وأهله كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين ، ولم يميز بين الامرين وذكر ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الايمان (في كفر دون كفر) وما قاله العلامة ابن القيم ان الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة من الكفر العملي . وتحقيقه ان الكفر كفر عمل وكفر جحود وعناد فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا فهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه ، وأما كفر العمل فهو نوعان نوع يضاد الايمان ونوع لايضاده ،ثم نقل عن ابن القيم كلاما في هذا المعنى

ثم قال السيد المذكور : قلت ومن (هذا يعني الكفر العملي) من يدعو الاولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله فانه كفر عملي لا اعتقادي فانه مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الآخر ، لكن زين له الشيطان ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون فاعتقدوا ذلك كما اعتقد ذلك أهل الجاهلية في الاصنام لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد لله لايجعلون الاولياء آلهة كما قاله الكفار انكارا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دعاهم الى كلمة التوحيد (أجعل الآلهة الهاً واحدا؟) فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة فقالوا في التلبية: لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فاثبتوا للاصنام شركة مع رب الانام وان كانت عباراتهم الضالة قد افادت انه لاشريك له لانه اذا كان يملكه وما ملك فليس شريك له تعالى بل مملوك ، فعباد الاصنام الذين جعلوا لله اندادا واتخذوا من دونه شركاء وتارة يقولون شفعاء يقربونهم الى الله زلفى، بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضر فانهم مقرون لله بالوحدانية وافراده بالآلهية وصدقوا رسله فالذي أتوه من تعظيم الاولياء كفر عمل لا اعتقاد فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم وزجرهم ولو بالتعزير كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي — الى ان قال — فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية فهو من

الكفر العملي ، وقد ثبت ان هذه الامة تفعل أمورا من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي كحديث « أربع في أمتي من امر الجاهلية لايتركونهن: الفخر في الاحساب ،والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الاشعري . فهذه من الكفر العملي (١) لاتخرج به الامة عن الملة بل هم مع اتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية

(١) ان الخطأ الذي وقع فيه العلماء بسوء الفهم أقل من الخطأ الذي وقعوا فيه بسوء تطبيق الاعمال على النصوص وقد وقع هـذا العالم في كليهما فهو لم يعرف الفرق بين الكفر بالعمل والكفر بالاعتقاد ولا الفرق بين معنى الاله ومعنى الرب في المفهوم لاتحادهما في الماصدق . فأما كفر الاعتقاد فهو مخالفة عقائد الاسلام في مسألة اعتقادية وما ينشأ عنها من عمل كالاعمال الكثيرة التي يذكرها الفقهاء في باب الردة ، وأما الكفر العملي فهو الاتيان بعمل مما يحرمه الاسلام ويعمله الكفار غير صادرعن اعتقاد ديني كالنياحة على الميت والطعن في انساب الناس ، ومسألة دعاء الموتى والاستغاثة بهم والنذرلهم وغير ذلك مما ذكر في الرسالة من الاول كما أوضحه الامام الشوكاني هنا في الرد عليه ولكن غاية ماقي هذا الرد ان يبين سبب تسمية مشركي العرب دعاء الاصنام وغيرها عبادة وتسميتها آلهة ، وهذا السبب هو انهم كانوا أهل اللغة وكل ما يدعى ويعتقد ان له سلطة وتأثيرا وراء الاسباب المشتركة بين جميع المخلوقات فاسمه في لغتهم اله ولكن لايطلقون عليه اسم الجلالة (الله) لانه اسم الرب الخالق وحده — وهذا الدعاء وكل تعظيم وعمل يوجه الى من يعتقد فيه ما ذكر فاسمه في لغتهم عبادة .

وأما هؤلاء المسلمون الذين سرت اليهم تلك العقيدة الوثنية وما نشأ عنها من أعمال العبادة ليسوا من أهل اللغة العربية بالملكة والسليقة بل لهم اصطلاحات دينية وغير دينية في لغتهم المأخوذ أصلها عن العرب فلذلك يخالفونهم في التسمية . والفرق الحقيقي بينهما في شركهما ان المنتمين الى الاسلام من هؤلاء القبوريين اذا علم ان اعتقاده وعمله مخالف لعقيدة الاسلام وشرعه فانه يتركه ولوتقليدا ، وأولئك كان تقليدهم في الشرك فلم يكن يرجعهم عنه الا البرهان العقلي والابقوا عليه . فالقبوريون قد اتخذوا أصحاب القبور التي يعظمونها آلهة وان لم يسموا عبادتهم باسمها العربي وان لم يسموهم آلهة والتسمية مسألة =

اضافهم الى نفسه فقال « من أمتي »

(فان قلت) أهل الجاهلية تقول في أصنامها انهم يقربونهم الى الله زلفى كما يقوله القبوريون ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . كما يقوله القبوريون (قلت) لا سواء فان القبوريين مثبتون للتوحيد لله قائلون انه لا اله الا هو ولو ضربت عنقه على ان يقول ان الولي اله مع الله لما قالها بل عنده اعتقاد جهل ان الولي لما اطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى نفعه لا أنه اله مع الله، بخلاف الوثني فانه امتنع عن قول لا اله الا الله حتى ضربت

= عرفية ،وعبدوا هذه القبور ومن دفن فيها بل سموها توسلا واستشفاعا وقد أثبت القرآن عين هذا التوسل والاستشفاع للمشركين

وأما الفرق بين معنى لاله والرب فهو ان الرب في لغة العرب هو السيد المالك والمربي والمتصرف في الاشياء وهو من أسماء الله تعالى ولاسيما اذا كان معرفا (الرب) وبينه وبين الاله عموم وخصوص مطلق يجتمعان بحق في اطلاقهما على الله تعالى وبالباطل في اطلاقهما على الكواكب عند من اعتقد أن لها تصرفا ذاتيا في الخلق والتدبير كقوم ابراهيم وعلى مصدري النور والظلمة والخير والشر عند القائلين بذلك من الفرس وغيرهم ، وينفرد اسم الاله باطلاقه على ما عبد ولم يعتقد ان له تأثيرا في الخلق والتدبير كاصنام جاهلية قريش وغيرها من العرب فانهم لم يتخذوهم أربابا وانما عبدوهم بالدعاء والذبائح ونحو ذلك ليقربوهم الى الله تعالى ويشفعوا لهم عنده كما هو صريح الآيات الكثيرة التي تحتج عليهم بأن كون الله تعالى هو الرب الخالق المدبر النافع الضار كما يعتقدون انه يقتضي الا يعبد غيره . فشرك الالهية هو كل دعاء وتعظيم وعمل باعثه اعتقاد تأثير المعظم المدعو عند الله تعالى بحمله على جلب نفع او دفع ضر لولاه لم يفعله تعالى بمحض ارادته فيكون له اشتراك في حصول ذلك بتأثيره في ارادة الله ، تعالى الله عن تأثير المؤثرات الحادثة .

والشرك في الربوبية نوعان (أحدهما) اعتقاد التأثير الذاتي في الخلق وتدبير أمور العالم فيما هو فوق الاسباب العادية المشتركة بين الخلق (والثاني) قبول التشريع الديني في العبادات والحلال والحرام من غير الله كما ورد في تفسير (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فليراجع

عنه زاعما ان وثنه اله مع الله ويسميه ربا والهاقال يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟) سماهم أربابا لانهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل «هذا ربي» في الثلاث الآيات مستفهما لهم مبكتا متكلما على خطابهم حيث يسمون الكواكب أربابا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا ؟) وقال قوم ابراهيم (من فعل هذا بآلهتنا؟ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم؟) وقال ابراهيم (أإفكا آلهة دون الله تريدون ؟) ومن هنا يعلم ان الكفار غير مقرين بتوحيد الالهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم *قل من يرزقكم من السماء والارض ـ الى قوله ـ فسيقولون الله) فهذا اقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما لا انه اقرار بتوحيد الالهية لانهم يجعلون أوثانهم أربابا كما عرفت ، فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد ومن لازمه كفر العمل ، بخلاف من اعتقد في الاولياء النفع والضر مع توحيد الله وايمان به وبرسوله وباليوم الآخر فانه كفر عمل ، فهذا تحقيق بالغ وايضاح لما هو الحق من غير افراط ولا تفريط . انتهى كلام السيد المذكور رحمه الله تعالى

وأقول هـذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ بل كلام متناقض متدافع ، وبيانه انه لاشك ان الكفر ينقسم الى كفر اعتقاد وكفر عمل لكن دعوى ان مايفعله المعتقدون في الاموات من كفر العمل في غاية الفساد ، فانه قد ذكر في هذا البحث ان كفر من اعتقد في الاولياء كفر عمل هذا عجيب ! كيف يقول كفر من يعتقد في الاولياء ويسمي ذلك اعتقادا ثم يقول انه من الكفر العملي ؟ وهل هذا الا التناقض البحت والتدافع الخالص ؟ انظر كيف ذكر في أول البحث ان كفر من يدعو الاولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي ، فليت شعري ماهو الحامل له على الدعاء والاستغاثة وتقبيل الجدران ونذر النذورات هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟ فهذا لايفعله الا مجنون، ام الباعث عليه الاعتقاد في الميت؟ فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الافعال ؟ ثم انظر كيف اعترف بعد ان حكم على هـذا الكفر بأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد بقوله« لكن زين له الشيطان ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلا كما اعتقده أهل الجاهلية

في الاصنام » فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل

وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهل؟ فان طوائف الكفر بأسرها وأهل الشرك قاطبة انما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد جهلا ، وهل يقول قائل ان اعتقادهم اعتقاد علم؟ حتى يكون اعتقاد الجهل عذرا لاخوانهم المعتقدين في الاموات. ثم تمم الاعتذار بقوله : لكن هؤلاء مثبتون التوحيد. الى آخر ما ذكره . ولا يخفاك ان هذا عذر باطل فان اثباتهم التوحيد ان كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون ، وان كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الاموات ما اعتقده أهل الاصنام في أصنامهم ، ثم كرر هذا المعنى في كلامه وجعله السبب في رفع السيف عنهم وهو باطل فما ترتب عليه مثله باطل فلا نطول برده

بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا الى حد في اعتقادهم في الاموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو ان الجاهلية كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله وحده وانما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الامور كما حكاه الله عنهم بقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا) وبقوله تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟) وبقوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل) وبقوله تعالى (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) بخلاف المعتقدين في الاموات فانها اذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالاموات ، نذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال ، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم ، ولقد اخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابا شديدا فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الاموات ويستغيثون بهم ولم يسمعهم يذكرون الله قط قال ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله (١) وقد

(١) قد تكرر وقوع مثل هذه الحادثة فتحدث في مصر وبلاد الشام من يذكر مثلها . ومما نقل الينا منها ان بعض الموحدين لما سمع ركاب السفينة يستغيثون بهؤلاء الموتى ويدعونهم لانقاذهم بانقاذ السفينة : ياسيد يابدوي ، يادسوقي يامتبولي الخ دعا ربه قائلا : اغرق اغرق فانه لم يبق أحد يعرفك

سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء ان كثيرا منهم اذا حدث له ولد جعل قسطاً من ماله لبعض الاموات المعتقدين ويقول انه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا فاذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الاموال

وبالجملة فالسيد المذكور رحمه الله تعالى قد جرد النظر في بحثه السابق الى الاقرار بالتوحيد الظاهري واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر الى ماينافي ذلك من افعال المتكلم بكلمة التوحيد ومخالفته من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الافعال المتعلقة بالاموات . وهذا الاعتبار لاينبغي التعويل عليه ولا الاشتغال به فالله سبحانه انما ينظر الى القلوب وما صدر من الافعال عن اعتقاد لا الى مجرد الالفاظ ، والا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق

وأما مانقله السيد المذكور رحمه الله تعالى عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر الى عملي واعتقادي فهو كلام صحيح وعليه جمهور المحققين ولكن لايقول ابن القيم ولا غيره ان الاعتقاد في الاموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي ، وسننقل ها هنا كلام ابن القيم في ان ما يفعله المعتقدون في الاموات من الشرك الاكبر كما نقله عنه السيد رحمه الله تعالى في كلامه السابق ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم فان السائل كثر الله فوائده قد طلب ذلك في سؤاله فنقول :

قال ابن القيم في شرح المنازل في باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر ، فالاكبر لايغفره الله الا بالتوبة منه وهو ان يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ويغضبون لمنتقص معبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرةً ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وهو لاينكر ذلك ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ، وهكذا كان عباد الاصنام سواء ، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذها من البشر ، قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء : مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * ان الله لايهدي من هو كاذب كفار)وهكذا

حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا ! بل ما أعز من لا يعادي من أنكره ! ! والذي تام بقلوب هؤلاء المشركين ان آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك في كتابه وابطله ، واخبر ان الشفاعة كلها له . ثم ذكر الاية التي في سورة سبأ وهي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) وتكلم عليها ثم قال : والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية . وهذا لانه اذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية او نظيره أو شر منه أو دونه فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي سليم يرى ذلك عيانا والله المستعان . ثم في ذلك الكتاب

(فصل) وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء (١) والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك بالله » وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت ، هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لي الا الله وانت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده .

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك الكتاب بعد فراغه من ذكر الشرك الاكبر والاصغر والتعريف لهما : ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ ومن أنواعه التوبة للشيخ فانها شرك عظيم ، ومن أنواعه النذر لغير الله (٢)

(١) الذي في مدارج السالكين المطبوع بمطبعة المنار سنة ١٣٣٦ هـ « فكيسير الرياء » الخ : (٢) الذي في مدارج السالكين : ومن أنواعه الخوف من غير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والانابة والذل لغير الله ، وابتغاء الرزق من عند غيره والنذر الخ

والتوكل على غير الله ، والعمل لغير الله والانابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غير الله(١) واضافة نعمه الى غيره . ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم، فان الميت قد انقطع عمله وهو لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به أو سأله قضاء حاجته او سأله ان يشفع له الى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده (٢) فان الله تعالى لايشفع عنده أحد الا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لاذنه وانما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها وهذا حال كل مشرك والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا زرنا قبور المسلمين ان نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة لقضاء الحوائج والاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، وسموا قصدها حجا ، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرءوس فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم الى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين المخلصين له الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم أمروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ! ولله در خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث يقول : (واجنبني وبني ان نعبد الاصنام * رب انهن اضللن كثيرا من الناس) وما نجا من هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله . انتهى كلام ابن القيم

فانظر كيف صرح بأن مايفعله هؤلاء المعتقدون في الاموات هو شرك أكبر بل أصل شرك العالم ، وما ذكره من المعاداة لهم فهو صحيح (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله — يا أيها الذين

(١) حذف المؤلف من بين هذه الفقرة والتي بعدها ثلاث فقرات وكذلك حذف قوله « واعتقاد ان يكون في الكون مالا يشاؤه » التي هي آخر هذا النوع

(٢) الذي في المدارج « والمشفوع له عنده » الخ ويوجد اختلاف بين الذي هنا وما في نسختنا لا يعول عليه اذ هو اختلاف في النسخ لايتغير به المعنى

آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — الى قوله — كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال شيخ الاسلام تقي الدين في الاقناع: ان من دعا ميتاً وان كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر، وان من شك في كفره فهو كافر: وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عنـدي كفار بهذه الاوضاع، مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها: ياموالي افعل لي كذا وكذا، أو القاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى

وقال ابن القيم في (اغاثة اللهفان) في انكار تعظيم القبور: وقد آل الامر بهؤلاء المشركين الى ان صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه (مناسك المشاهد) ولا يخفى ان هذا مفارقة لدين الاسلام، ودخول في دين عباد الاصنام انتهى وهذا الذي اشار اليه هو ابن المفيد (١)

وقال في النهر الفائق أعلم ان الشيخ قاسما قال في (شرح درر البحار) ان النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدي فلان ان رد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل اجماعاً لوجوه — الى ان قال — ومنها ظن ان الميت يتصرف في الامر واعتقاد هذا كفر، انتهى. وهذا القائل من أئمة الحنفية، وتأمل ما افاده من حكاية الاجماع على بطلان النذر المذكور وانه كفر عنده مع ذلك الاعتقاد

وقال صاحب (الروض) ان المسلم اذا ذبح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر، انتهى. وهذا القائل من أئمة الشافعية. واذا كان الذبح لسيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم كفرا عنده فكيف بالذبح لسائر الاموات؟ وقال ابن حجر في شرح الاربعين له: من دعا غير الله فهو كافر انتهى

وقال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى في الرسالة السنية: ان كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان اغثني أو انصرني او ارزقني أو أجيرني وانا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا والا قتل فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه آله آخر، والذين يدعون

(١) - اي الذي ألف كتاب « مناسك المشاهد »

مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله رسله تنهى ان يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم قال في ذلك الكتاب : وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب قال الله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ما شاء الله وشئت قال « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لان من أكثر الاسباب لعبادة الاوثان كان تعظيم القبور ولهذا اتفق العلماء على انه من سلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره انه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لانه انما يكون لاركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » والاله هو الذي

بأنه القلب عبادة له واستغاثة ورجاء لهوخشية واجلالا ، انتهى

وقال أيضاً شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) في الكلام على قوله (وما أهل به لغير الله) ان الظاهر انه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أولم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما ان ما ذبحناه متقربين به الى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فان عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور ، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا اليه يحرم وان قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة وان كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح ، ثم قال في موضع آخر من هذا الكتاب ان العلة في النهي عن الصلاة عند القبور ما يفضي اليه ذلك من الشرك . ذكر ذلك الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره، وكذلك الائمة من أصحاب أحمد ومالك كأبي بكر الاثرم عللوا بهذه انتهى . وكلامه في هذا الباب واسع جدا وكذلك كلام غيره من أهل العلم

وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم ومن اتباعهم رحمهم الله في هذه المسألة بما يشفي ويكفي ولا يتسع المقام لبسطه وآخرون كان منهم نكالا على القبوريين وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية مولانا الامام مهدي العباس بن الحسين بن القاسم رحمه الله فانه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسببا لضلالهم وأتى على غالبها ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها ،وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء توسلوا اليه بوسائل وكان ذلك هو الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين

وبالجملة فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سبق مالا يحتاج معه الى الاعتضاد بقول أحد من أهل العلم ، ولكنا ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم مطابقة لما طلبه السائل كثر الله فوائده ، وبالجملة فاخلاص التوحيد هو الامر الذي بعث الله لاجله رسله وأنزل به كتبه وفي هذا الاجمال ما يغني عن التفصيل ، ولو اراد رجل ان يجمع ما ورد في هذا المعنى من الكتاب والسنة لكان مجلدا ضخما. انظر فاتحة الكتاب التي تكرر في كل صلاة مرات من كل فرد من الافراد ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فان فيها الارشاد الى

اخلاص التوحيد في مواضع فمن ذلك (بسم الله الرحمن الرحيم) فان علماء المعاني والبيان ذكروا انه يقدر المتعلق متأخرا ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالى لا باسم غيره وفي هذا مالا يخفى من اخلاص التوحيد ، ومنها في قوله (الحمد لله رب العالمين) فان التعريف يفيد ان الحمد مقصور على الله واللام في الله يفيد اختصاص الحمد به ومقتضى هذا انه لاحمد لغيره أصلا ، وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم ، وقد تقرر ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم فلا ثناء الا عليه ولا جميل الا منه ولا تعظيم الا له ، وفي هذا من اخلاص التوحيد ماليس عليه مزيد ومن ذلك قوله (مالك يوم الدين) أو (ملك يوم الدين) على القراءتين السبعيتين فان كونه المالك ليوم الدين يفيد انه لا ملك لغيره فلا ينفذ الا تصرفه لا تصرف أحد من خلقه من غير فرق بين نبي مرسل وملك مقرب وعبد صالح ، وهذا معنى كونه « ملك يوم الدين » فانه يفيد ان الامر أمره والحكم حكمه ليس لغيره معه أمر ولا حكم كما انه ليس لغير ملوك الارض معهم أمر ولا حكم ، ولله المثل الاعلى . وقد فسر الله هذا المعنى الاضافي المذكور في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز فقال (وما ادراك ما يوم الدين ؟ * ثم ما ادراك ما يوم الدين ؟ * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله) ومن كان يفهم كلام العرب ونكته واسراره كفته هذه الآية عن غيرها من الادلة واندفعت لديه كل شبهة ومن ذلك (اياك نعبد) فان تقديم الضمير قد صرح أئمة المعاني والبيان وأئمة التفسير انه يفيد الاختصاص فالعبادة لله سبحانه ولا يشاركه فيها غيره ولا يستحقها، وقد عرفت ان الاستغاثة والدعاء والتعظيم والذبح والتقرب من أنواع العبادة ومن ذلك قوله (واياك نستعين) فان تقديم الضمير ههنا يفيد الاختصاص كما تقدم وهو يقتضي انه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الامور التي لا يقدر عليها غيره ، فهذه خمسة مواضع في فاتحة الكتاب يفيد كل منها اخلاص التوحيد مع ان فاتحة الكتاب ليست الا سبع آيات فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز فذكرنا لهذه الخمسة المواضع في فاتحة الكتاب كالبرهان على ما ذكرناه من ان في الكتاب العزيز مايطول تعداده وتتعسر الاحاطة به ، ومما يصلح ان يكون موضعا سادساً لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب قوله (رب العالمين) وقد تقرر لغة وشرعا ان العالم ماسوى الله سبحانه وصيغ الحصر اذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان

والتفسير والاصول بلغت ثلاث عشرة صيغة فصاعدا ومن يشك في هذا فليتتبع كشاف الزمخشري فانه سيجد فيه ماليس له ذكر في كتب المعاني والبيان كالقلب فانه جعله من مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسيره الطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه ، ومع الاحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الادلة الدالة على اخلاص التوحيد وابطال الشرك بجميع اقسامه

واعلم ان السائل كثر الله فوائده ذكر في جملة ما سأل عنه انه لو قصد الانسان قبر رجل من المسلمين مشهور بالصلاح ووقف لديه وأدى الزيارة وسأل الله بأسمائه الحسنى وبما لهذا الميت من المنزلة هل تكون هذه البدعة عبادة لهذا الميت ويصدق عليه انه قد دعا غير الله وانه قد عبد غير الرحمن وسلب عنه اسم الايمان اويصدق على هذا القبر انه وثن من الاوثان ؟ ويحكم بردة ذلك الداعي والتفريق بينه وبين نسائه واستباحة أمواله؟ ويعامل معاملة المرتدين ؟ أو يكون فاعلا معصية كبيرة أو مكروها ؟ (وأقول) أنا قد قدمنا في أوائل هذا الجواب انه لا بأس بالتوسل بنبي من الانبياء أو ولي من الاولياء أو عالم من العلماء وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه فهذا الذي جاء الى القبر زائرا ودعا الله وحده وتوسل بذلك الميت كان يقول: اللهم اني اسألك ان تشفيني من كذا وأتوسل اليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك والمجاهدة فيك والتعلم والتعليم خالصا لك فهذا الامر ورد في جوازه (١) لكن لاي معنى قام يمشي الى القبر ؟ فان كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسل الا بعد تجريد القصد الى الزيارة فهذا ليس بممنوع فانه انما جاء ليزور وقد اذن لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزيارة القبور بحديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها » وهو في الصحيح (٢) وخرج لزيارة الموتى ودعا لهم وعلمنا كيف نقول اذا نحن زرناهم وكان يقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وأتاكم ماتوعدون نسأل الله لنا ولكم العافية » وهو أيضا في الصحيح بألفاظ وطرق

(١) تقدم في تعليقنا على هذا البحث أن سؤال المرء ربه ان ينفعه بعمل غيره مخالف النصوص فراجعه في ص ٥ من هذه الرسالة (٢) زيارة القبور بقصد تذكر الآخرة والموت مشروعة وتعليل الاذن بزيارتها الناسخ للنهي عنها بتذكيرها بالموت والآخرة مصرح به في صحيح مسلم وكتب السنن وهو ينافي زيارتها للتبرك بها دع عبادتها ودعاء أصحابها

فلم يفعل هذا الزائر الا ماهو مأذون له به ومشروع لكن بشرط ان لا يشد راحلته ولا يعزم على سفر ولا يرحل كما ورد تقييد الاذن بالزيارة القبور بحديث « لاتشد الرحال الا لثلاثة » وهو مقيد لمطلق الزيارة وقد خصص بمخصصات منها زيارة القبر الشريف النبوي المحمدي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم وفي ذلك خلاف بين العلماء وهي مسألة من المسائل التي طالت ذيولها ، واشتهرت أصولها، وامتحن بسببها من امتحن وليس ذكر ذلك ههنا من مقصودنا ، وأما اذا لم يقصد مجرد الزيارة بل قصد المشي الى القبر ليفعل الدعاء عنده فقط وجعل الزيارة تابعة لذلك أو مشى لمجموع الزيارة والدعاء فقد كان يغنيه ان يتوسل الى الله بذلك الميت من الاعمال الصالحة من دون أن يمشي الى قبره

(فان قال) انما مشيت الى قبره لاشير اليه عند التوسل به فيقال له ان الذي يعلم السر وأخفى ويحول بين المرء وقلبه، ويطلع على خفيات الضمائر، وتنكشف لديه مكنونات السرائر، لايحتاج منك الى هذه الاشارة التي زعمت أنها الحاملة لك على قصد القبر والمشي اليه، وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميت باسمه العلم أو بما يتميز به عن غيره ، فما أراك مشيت لهذه الاشارة ، فان الذي تدعوه في كل مكان مع كل انسان ، بل مشيت لتسمع الميت توسلك به وتعطف قلبه عليك ، وتتخذ عنده يدا بقصده وزيارته والدعاء عنده والتوسل به ، وأنت وان رجعت الى نفسك وسألتها عن هذا المعنى فربما تقر لك به وتصدقك الخبر، فان وجدت عندها هذا المعنى الدقيق ، الذي هو بالقبول منك حقيق ، فاعلم انه قد علق بقلبك ماعلق بقلوب عباد القبور ، ولكنك قهرت هذه النفس الخبيثة عن ان تترجم بلسانك عنها وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر والاعتقاد فيه والتعظيم له والاستغاثة به، فأنت مالك لها من هذه الحيثية ، مملوك لها من الحيثية التي أقامتك من مقامك ومشت بك الى فوق القبر، فان تداركت نفسك بعد هذه والا كانت المستولية عليك المتصرفة فيك المتلاعبة بك في جميع ماتهواه مما قد وسوس به لها الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

(فان قلت) قد رجعت الى نفسي فلم أجد عندها شيئا من هذا وفتشتها فوجدتها صافية عن الكدر فما أظن الحامل لك على المشي الى القبر الا انك سمعت الناس يفعلون شيئا ففعلته، ويقولون شيئا فقلته، فاعلم ان هذا أول عقدة من عقود توحيدك ، وأول محنة من محن تقليدك ، فارجع تؤجر ، ولا تتقدم

تنحر ،فان هذا التقليد الذي حملك على هذه المشية الفارغة العاطلة الباطلة سيحملك على اخواتها فتقف على باب الشرك أولا ،ثم تدخل منه ثانياً،ثم تسكن فيه واليه ثالثاً،وانت في ذلك كله تقول: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ،ورايتهم يفعلون أمرا ففعلته

وان قلت انك على بصيرة في علمك وعملك ، ولست ممن ينقاد الى هوى نفسه كالاول ، ولا ممن يقهرها ولكنه يقلد الناس كالثاني ، بل أنت صافي السر نقي الضمير ، خالص الاعتقاد ، قوي اليقين ، صحيح التوحيد، جيد التمييز ، كامل العرفان ، عالم بالسنة والقرآن ، فلا لمراد نفسك اتبعت ، ولا في هوة التقليد وقعت ، فقل لي بالله ما الحامل لك على التشبه بعباد القبور ، والتغرير على من كان في عداد سليمي الصدور؟ ، فانه يراك الجاهل والخامل ، ومن هو من علمك وتمييزك عاطل ، فيفعل كفعلك يقتدي بك ، وليس له بصيرة مثل بصيرتك، ولا قوة في الدين مثل قوتك ، فيحكي فعلك صورة ويخالفه حقيقة ،ويعتقد انك لم تقصد هذا القبر الا لامر ، ويغتنم ابليس اللعين غرة (١) هذا المسكين الذي اقتدى بك ، واستن بسنتك ، فيستدرجه حتى يبلغ به الى حيث يريد ، فرحم الله امرأ هرب بنفسه عن غوائل التقليد ، واخلص عبادته للحميد المجيد ،

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم ان من يقصد القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة ان مشى لقصد الزيارة فقط وعرض له الدعاء ولم يحصل بدعائه تغرير على الغير فذلك جائز، وان مشى لقصد الدعاء فقط أوله مع الزيارة وكان له من الاعتقاد ما قدمنا فهو على خطر الوقوع في الشرك فضلا عن كونه عاصيا ، واذا لم يكن له اعتقاد في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاص آثم ، وهذا أقل أحواله ، واحقر ما يربحه في رأس ماله ، (٢) وفي هذا المقدار كفاية ، لمن له هداية ، والله ولي التوفيق

تمت

---

(١) لعله غرة وهي الغفلة (٢) كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن زيارة القبور كما نهى عن اتخاذ الصور والتماثيل لانها من اعمال الوثنيين ووسائل الشرك التي صارت مقاصد ، ولما استقر الاسلام وزال الشرك اذن بزيارة القبور للرجال دون النساء وعلله بقوله « فانها تذكركم الموت » وقوله « فانها تذكركم الآخرة » ، فزيارة القبور الشرعية المستحبة للرجال هي ما كان بهذا القصد فقط وما عداه فليس بشرعي وقد يكون معصية وقد يكون شركا كما كان من قبل ا وضعه المؤلف رحمه الله تعالى

بحث لغوي (١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولا أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجع اليه الفاظها. وقد وفقني الله الى تمهيد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاموس اللغة تدويناً مؤسساً على اصول ثابتة تظهر اللغة بمظاهرها الحقيقية، والذي حملني على ذلك ماظهر من نقوش قديمة محفورة على جدران معبد الدير البحري في طيبة الغربية وازاء القصر من الغرب تدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فاثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) أي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية المين (الجنوبية) ومنها المين الجنوبية وهي ارمنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره. ولما نموا و كثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم أعناء الحنو اوالليبيين توجهوا الى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدا الى فلسطين. وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل. وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل النوبة. وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبثوا فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية. فاللغة المصرية أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة آنفا وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصاً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لكنها لاتخرجه عن العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في القصيدة الفارسية لاتخرجها عن كونها فارسية. وانا أخالف هذا القول مخالفة كلية لما سأذكره بعد

(١) لعالم الآثري المحقق احمد بك كمال نقلا عن المقتطف (ج ٣ م ٥٩)

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بأجزاء نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وها انا ذا اخالفه في ذلك مبينا أنها عربية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) أكواب واباريق — من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية . ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاعناء وا كواب جمع كوب وردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبو وبالعبرية كب وبالقبطية كاب وكابي وكيبي وهي مشتقة من مادة قأب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قأب الماء شربه أو شرب كل ماء الاناء ويقال اناء قوأب وقوأبي :كثير الاخذ للماء . ورجل مقأب : كثير الشرب . كما يقال كاب يكوب كما بأشرب بالكوب . فالكلمة مصرية عربية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية

أما اباريق فهي جمع ابريق وليست بفارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش باسم احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دنقلة فبقيت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (أكواب واباريق وكأس من معين) أي من ماء طاهر . والكاس وردت أيضاً في المصرية والعبرية بهذا اللفظ وورد أيضاً في المصرية كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم تعلم ان ابريق وكاس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء

(٢) اب — وردت هذه الكلمة في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة آبو كما وردت في قرطاس ابرس . وفي القاموس المحيط الاب الكلا او المرعى او ما أنبتت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سرى — قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريانية او القبطية او اليونانية ونافيه كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سرى يسري وسرى به فاشتق منه سرى أي النهر لسيره وجريانه وقد وردت سرى في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية ايضاً ظرى يظرى :جرى الماء وبطنه لم يتماسك لينا . فلعلها لغة في سرى بقلب الظاء سينا لقرب المخرج فهي قريبة منها في المعنى لقرينة الجريان وعلى كل حال فادة الكلمة عربية ومصرية وليست باعجمية كما قال المفسرون

(٤) — هيت قال الشيخ رحمه الله : معناها هلم بالقبطية او السريانية او

الحورانية أو العبرانية. والحقيقة انها من هيت به : صاح به ودعاه وهيت لك وقد يكسر أوله أي هلم.ووردت هيت بمعنى اقبل وذكرت في العربية والمصرية ايضا بغير التاء فيقال في العربية هيا أي اسرع واقبل على كذا. وعليه فهي عربية محضة خلافا لما قاله المفسرون

(٥) رس — قال الشيخ رحمه الله: الرس البئر أعجمية . مع انها وردت في القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة انها البئر المطوية بالحجارة وبئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دفنوه، اذ من معاني رس الحفر والدس ودفن الميت. وقد ذكرت كثيرا في النصوص المصرية القديمة وكثيرا مالحقها تاء التأنيث ومعناها البئر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء ان يدفنوا موتاهم في آبار ينحتونها في الجبال والسهول فهي عربية ومصرية بحتة

(٦) قط — قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) قال الشيخ رحمه الله. اي كتابنا بالقبطية . وجاء في القاموس للفيروزابادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة جمه قطوط. والقطاط اي الخراط وهو من مادة قط اي قطع عامة وعرضا أو قطع شيئا صلباً كالحقة. وفي المصرية قط وجمه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط او الحطاط (راجع مفردات دارمان الصحيفة ١٣٠) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع النقوش في الاحجار أي حفرها بقلم الحفر لان قط وخط معناهما في المصرية واحد وهي الكتابة بالحفر أي رسم الشيء بانقطع او الخرط . فالمصرية تظهر حقيقة المعنى في الكلمتين . وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان يرسم الكاتب النصوص بالمداد الاحمر على الجدرن في المعابد او المقابر او نحوها ومتى أتمها أتى القطاط فيقطعها بقلم الحفر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل الآن في النقش على الاحجار،هذا هو المعنى الاصلي لقط وخط فالقطاط لغة في الخطاط أي النقار اوالنحات أو النقاش وقد يطلق عليه الا ن في عرف العامة ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع قديدون اتباع العسكر من الصناع كالشاب والبيطار (قاموس المحيط) وكالنحات لانه اسم مشتق من مادة قد أي قطع مثل قط فالكلمة اذن عربية لاحظ لها من العجمة

(٧) يم — في قوله تعالى (فغشيهم من اليم ماغشيهم .طه ٢٠ : ٧٨) قال الشيخ رحمه الله معناها البحر بالسريانية او العبرانية او القبطية — وهي كلمة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل عريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية

(٨) — يحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن يحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤) قال الشيخ رحمه الله تعالى : يرجح انها بالحبشية . والحال انه فعل متصرف من حار بمعنى رجع ونقص وحاوره يحاوره : تراجع في الكلام . وحار يحار حيرة أي نظر الى الشيء ولم يهتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومعانيها في قرطاس سلير وقرطاس انسطاسي وقرطاس هرس وفي الدكيلر وفي مدحة النيل لماسبرو

(٩) سينين — في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ وطور سينين) وهو جبل بالشام ويقال له ايضاً (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معناهما بالحبشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا واان وانين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هـذا ماأيدته اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه مملسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤيد ان سينين وسيناء لفظان عربيان بلا نزاع

(١٠) قيوم — في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة ٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لاينام بالسريانية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لاند له من اسمائه عز وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياما . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصحيفة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماه اليونان (كاميفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناهما فيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تركيبا مزجيا فصار صفة يراد بها الموجد لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بذاتها عريقة الاصل في كلتا اللغتين

وسيأتي الكلام على غابر هذه الالفاظ احمد كمال

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر فطرية كالكواكب وبعض النبات والحيوان أو مرافق حيوية ووسائل حربية كالرحى والجفنة والرمح والحسام ، ولصفاء قرائحهم وسلامة أذواقهم أضافوا الى هذه الحقائق ما يخطر على ضمائرهم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي لا تنالها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضاء والغضب ونسجوا منها على مثال التخييل صوراً بديعة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القريبة فعذرهم في ذلك انهم لم يدخلوا في مسالك الفلسفة ولا عودوا أنفسهم التنقيب عن المعاني الغامضة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البداهة ، فمن وقعت له على معنى رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فقد لقطته قريحته عفواً وانساق اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت أمثال هذا التخييل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ المعاني الى ازعاج الفكر وحثه على استخراجها من مغاصها العميق كما يفعل المولدون لظفرنا لهم بنظائر لا تحصى ، ثم ان التخييل كسائر الملكات والصنائع انما تترقى شيئاً فشيئاً وتتكامل يوماً فيوماً ، فتطلع لزهير بن أبي سلمى مثلاً على تخيلات لا تظفر بها في أشعار من تقدموه بأمد بعيد ، فالعهد الذي يعبر فيه هـذا الشاعر عن معنى ان من لم يجب الى الامر الصغير يقع تحت وطأة الامر الخطير بقوله

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

لا يصح ان يكون من أوائل العصور التي ظهر فيها التخيل الشعري فان هذه الغاية من حسن البيان لا يدركها الناس بفطرتهم الا بعد ان يتقلبوا في سبيلها أطواراً ويقضون في السير اليها أحقاباً ، كما ان ابن سفر الاندلسي لو نشأ في البيئة والعصر اللذين نشأ فيهما زهير لم يسهل عليه ان يصف نهر اشبيلية الذي

يصعد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحسر بقوله

شق النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزؤا فضم من الحياء ازاره

ثم بزغت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب الامثال الرائعة وصاغ التشابيه الرائقة والاستعارات الفائقة والكنايات اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من الاقوال الطافحة بالامثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني ورقى بهم الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه المعهودة ويغيروا أساليبه تغييرا يحس به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبدالله بن الدمينة أو عمر ابن أبي ربيعة أوجيلا أو كثيرا شاعر جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مغالبته وابطال دعواه باقامة الحجة من مناهج تخيلاتهم كأن تجلب له من أشعارهم أمثلة ينكشف بها جليا انهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ، ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي تيقنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة من تشابيه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة في قوالبهم مرسومة على خططهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة الفرق بين الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى تعقل ، فلو ادعى مدع ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفاك ان تتلو عليه نبذة من شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه أثر التصنع كالبيت الذي أعجب به أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو بحمص انك قد فتنت به أهل العراق أعني قوله يصف الخمر

مورّدة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها

وجاء بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

استحكمت عرى المدنية وتجلت لهم الحضارة في أجلى مظاهرها فكانوا أكثر من تقدمهم تفننا في صناعة التشبيه والاستعارة وما يلحق بهما من تصرفات الخيال كالتورية والمقابلة وحسن التخلص من غرض الى آخر، وهذا لا يمنعك من ان تقضي للسابقين بأنهم أقوى عارضة وأدرى بصناعة الشعر من ناحية سبك الالفاظ ومتانة بنائها

وبعد ان عني الناس بالنظر في شؤون الكون وسلكوا في البحث عن أسراره طريقا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية ويجري وراء الفكر كالمسعف له في تصوير تلك المعاني الغامضة كما تراه في مثل قصيدة ابن سينا في النفس المفتتحة بقوله

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقصيدة المعري المفتتحة بقوله

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

وقول أبي بكر بن الطفيل يصف حال الروح والجسد

نور تردد في طين الى أجل فانحاز علوا وخلى الطين للكفن
ياشد ما افترقا من بعد ما اجتمعا أظنها هدنة كانت على دخن
ان لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيالها صفقة تمت على غبن

وفي هذه الصبغة خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى الشيخ محيي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا المنزع الفلسفي ان الشعراء عند ما اتسعت دائرة العلوم الاسلامية ونقلت العلوم النظرية الى العربية مد بعضهم يده الى قضايا هذه العلوم واصطلاحاتها وخلط بها تصرفاته الخياليه كقول ابي تمام

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء

وقول حيص بيص

لا تضع من عظيم قدر وان كنـ ـت المشار اليه بالتعظيم
ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ ـر بتنجيسها وبالتحريم

وقول ابن الخطيب

ونقطة قلب اصبحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة ينشأ الخط

وكذلك كانوا يقتبسون من سائر العلوم والصنائع حتى راق لكثير من

المتأخرين أن يجعلوا قصائدهم كنموذج يلوح به الى علوم شتى

ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم

لو لم يكن اقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

ومن تقصى أثر الشعر العربي ولاحظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ في نفسه قوة تساعده على الفصل في بعض الابيات أو القصائد التي يتنازع الرواة في نسبتها الى قائلها ، فالقصيدة التي جاء في أثنائها

قالت لطيف خيال زارني ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

يعزوها بعضهم الى الوليد بن اليزيد ومن لاحظ أن القصيدة جمعت فنونا من الخيال لا يفحص عنها ويجمعها في نظم واحد الا شاعر نشأ أيام دخل التصنع في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى ان تكون كما قيل لابي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن حمدان المتوفى سنة ٤٢٨

رقي التخييل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي جر الى استعارات مكروهة وتشابيه سمجة ايضاً فقد اقتحم ابو تمام والمتنبي ومن يعدهم في هذا الغرض مساوئ لم يرتكبها الجاهلية عالمربي الصميم — وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل قول ابي نواس

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

أو قوله

ما لرجل المال أضحت تشتكي منك الكلالا

وتمادى الشعر مابين تخيل فطري وتخيل فلسفي وتخيل علمي الى هذه الاعصر وان كان النوع الاول هو الغالب في النظم والمألوف في التخاطب لان التخيلين الفلسفي والعلمي، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخيل الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور

والضرب الفلسفي لا يعد في الحقيقة تطورا في نفس التخييل وانما هو تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وسنن كونية على طريقة النظر العميق

القياس في الاشتقاق

تابع ما نشر في الجزء الثامن ص ٦١٩

ومن الاصول التي يراعونها في الكف عن القياس وعدم الاخذ بالامثلة القليلة في تقرير أحكام هـذا الباب قاعدة تجنب مايوقع في لبس واشتباه ، ولهذا لم يجز الجمهور صوغ فعل التعجب واسم التفضيل من الافعال المزيدة لان الصيغة لاتسع الا الحروف الاصلية واذا سقطت الحروف الزائدة عميت على السامع معانيها الخاصة كالمطاوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيع بعض المعاني وتخلو العبارة عن الفائدة المطلوبة ، فما ذهب اليه الاخفش والمبرد من اباحة اشتقاق أفعل التفضيل من جميع المزيد غـير مستقيم وانما أجاز سيبويه اشتقاقه مما جاء على وزن افعل خاصة اعتماداً على ان ماروى من شواهده قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليـه سائغاً . ودخل ابن عصفور الى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيبويه ولكنه شرط ان تكون همزته لغير النقل نحو أظلم الليـل وأقفر المكان لان أفعل الذي تكون همزته لغير النقل (يعني التعدية) لا يزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدث فلا يدخل زنة التعجب أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفصيل وان كان أقرب الى الاصول لم يقبله الشاطبي بدعوى ان الاجماع قد انعقد على ثلاثة مذاهب . والاجماع لايخرق ولو في الاحكام اللفظية :

ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منعهم من صوغ التفضيل والتعجب من المبني للمجهول لان صوغهما منه يؤدي الى التباس وصف الفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الافعال اللازمة لصيغة المجهول نحو عني وزهي وهزل وارعد وأغمي وغم واهل وتخي اذ لايعرض عند ايرادها في احدى الصيغتين التباس

ويدخل في هذا الصدد اشتقاق فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل وجريح وصريع فقد وقف فيه بعضهم عند حد السماع واغلقوا دونه باب القياس وفصل آخرون فمنعوا القياس فيما ورد منه فعيل بمعنى فاعل نحو علم وسمع حيث ورد اسم فاعله على فعيل فقالوا عليم وسميع . وأباحوه فيما عدا ذلك ، وقد تخلصوا بهذا التفصيل من المحـذور الذي تحاشاه الذاهبون الى منع القياس باطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف الفاعل

فأصل الاحتراز عن اللبس والابهام في اللغة مكين . بيد انه لايخلو كسائر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء المعتلة العين نحو مختار ومنقاد والفعل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تطلق في وصف الفاعل والمفعول ويعول في فهم مايراد منها على قرينة حال أو مقال . ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاء وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطراده تفسح له مجال القياس ويبقى غيره مما فيه ابهام المراد على أصل المنع حتى ينهض دليل السمع بجوازه . فاذا وقع النزاع على اشتقاق يحصل معه احتمال بخلاف المراد فالاصل بيد المانع حتى يقيم المجيز الشواهد الكافية للقياس

ومما يوردونه عذرا في الحكم ـ ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جعله قياسا مطردا ـ الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي ناقلا عن سيبويه ان باب « فعلته » الذي تضم فيه العين للمغالبة مسموع بكثرة ولا يصح القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما تعلقوا بهذا الوجه في استثناء بعض الفاظ تشملها قاعدة فيصرحون بالمنع من اجرائها على القاعدة استغناء عنها بصيغة أو جملة تسد مسد الحاجة اليها . كما قال سيبويه في الكتاب لا تقول (العرب) في قال يقيل « ما أقيله » استغناء عنه بنحو « ما أكثر قائلته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى ـ أعني باب المغالبة ـ بعلة انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير سديد وانما المدار على قلة ما ورد منه وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في وضع القواعد صح جعله قياسا مطردا . وليس غنى اللغة بما تملكه من صيغة أو صيغ تفيد معنى خاصا بمانع من ان ينضم اليها طريق آخر يزيدها سعة على سعتها . فترادف المفردات والصيغ على غرض واحد في اللغة ليس بعزيز

وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك «ما أقيله» بمثل ماه « أكثر قائلته » فهي راجعة الى الكشف عن وجه اهمال العرب للصيغة الاولى ، وقد تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم تسمع في كلام العرب ما يدل على انهم نطقوا به على وفقها ، وذكرنا الفرق بين ما يدور في محاوراتهم بكثرة فنقتفي فيه أثرهم ولا نخرج في تصريفه عن الوجه المنقول عنهم وبين ما لايكون كثيرا شائعا فيسوغ لنا ان نصرفه ونتطق به على ما تقتضيه القواعد

دون توقف على سماع . وكأن الامثلة التي ذكر سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص ان العرب استغنت عن تصريفها بصيغ أخرى ، وجعلوا التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نظرها من القسم الاول وهو مالا تتجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في الالفاظ الدائرة في المخاطبات بكثرة عند وجهها المسموع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يعد في غرائب اللغة العربية . فان في غيرها من اللغات الاخرى كاللسان الالماني مصادر تتصرف على وجوه تخالف القواعد المعروفة ، ويصرح علماؤهم بوجوب التلفظ بها على تلك الوجوه الشاذة ويعدون المتكلم بها على نمط القاعدة قد تعدى حد اللغة وارتكب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان ما شذ عن القاعدة الى ان ركبوه من حروف غير حروف الوصف الاصلي ، على نسق ما يقول علماء لغتنا ان الخلد ـ وهو الفار الاعمى ـ يجمع على مناجد أو مناجذ

وتصرف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افعالا وأوصافا فقالوا تقمص وتجورب وتحجر واستنسر البغاث واستنوق الجمل . وقالوا أحنك الشاتين أو البعيرين وفلان آبل الناس أي أشدهم تأنقا في رعي الابل . وقد رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لاتكفي لفتح باب القياس، فوقفوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما ينكرون على من ينتزع فعلا من غير مصدر كما اعترضوا على القطب الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القسمة » بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه على ما صح لغة من قولهم خمس وسبع وأمثالها ، حتى استشهد له السيلكوتي بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يهلك نفسه وأخاه وامامه . ولم أر من حام على القول بجعل مثل هذا مقيسا الا عبد اللطيف البغدادي فانه اعترف في كتاب التكلة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازه على وجه القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتنويع المأخوذ من لفظ النوع .

واطلاق التصرف بمثل هذا للافراد فيصنع كل على انفراده من أسماء الاجناس وأشباهها ما يبدو له من أفعال وأوصاف يفضي الى القاء الجمل مركبة من الفاظ لا يألفها المخاطبون أو يتعاصى عليهم فهم ما يقصد منها . واللغات الاجنبية يجري فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تضمها في ديوانها اللغوي وتنشرها بين الناس

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طالعة تاليفه المسمى بالصاحبي ان اللغة قد قر قرارها فلا نعلم لغة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان الصحابة من النظر في العلوم الشريفة مالا خفاء به وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم.

وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ماقالوه ولا ان نقيس قياسا لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها . اغلق ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في سلك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات ينقلونها من معانيها اللغوية ويضعونها بازاء معان خاصة، بيد انه يفرق بين الوضع العربي والوضع العلمي فيسمى الاول اسما لغويا والثاني اسما صناعيا

والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس مفتوحا مثلما هي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لهم من الولد أو يحدثونه من الضيعات والقرى . فان الاعصر مابرحت تكشف لنا من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تتسع وتنمي بالالفاظ التي تجري على السنة الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورعاء الشاء . وليس من الممكن ان نصرف السنتنا عن التعبير عن هذه المعاني بعد ان اندمجت في متاع البيت والتصقت بما يتخذه الناس من الملابس ويمتطونه من المراكب ويرتفقون به من وسائل الحياة

ومما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نسقها اسماء هذه المعاني الموضوعة في قالب لغة اجنبية ونتلفظ بها على علاتها من غير تهذيب وسبك يؤلف بينها وبين ماهو عربي اصيل

فالعربية توسع صدرها لافتراض الاسم من لسان آخر ولكن بعد تنقيحه وسبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مع ذلك في سعة وغنى بما ملكته من المواد الغزيرة والتصاريف التي تساعد على ان نستمد منها اسماء لاي معنى خرج الى حيز الوجود

وانما يستقيم هذا العمل اذا نهضت له جماعة ذات اطلاع واسع وأذواق سليمة فيتخيرون أو يشتقون للمعاني الحديثة اسماء مقبولة فيبقون على هذا اللسان حياته ويحفظونه من ان يتسم فرق فاقته فتتسرب اليه قطع من لغة أخرى

انتباه الشرق[1]

العرب وطيش سهم المستعمرين . سورية وفلسطين . اليمن وعمان . الاناضول ومعاهدة سيفر . ازربيجان والافغان . شمال افريقية

لاجرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثيب من رقدته ، ويهب من سباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت تباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت مخايله في كل صقع من أصقاع الشرق بصورة لا تقبل المغالطة ، ولا تحتمل المراء ، بحيث شعرت أوربا شعورا تاما بأن شرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمخضت بحوادث لم تكن في حسبانها ، وربما تلك انقلابات كان يجوز ان يستأ كل فصالها القرون والاحقاب فعجلت الحرب في توليدها ببضع سنين فكان الظفر الذي ظن الغالبون انه سيلقي اليهم بمقاليد الارض بحذافيرها ويؤمنهم على تراثها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطانهم الملفقة من قوى الامم الاخرى وفاتحة انتثار اسلاكهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصداق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون — طالما أحزنتنا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلو الجو للدولة المستعمرة تأتي بجرانها على من تشاء وتهضم حق من تشاء وتظن الاحرار قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يخدعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احداهما بالاخرى مما يوفر على المستعمرين الاموال والرجال ، حتى اذا انفصل العرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين براثن أولئك الخلابين الخداعين وأطبق هؤلاء عليهم فوأم

(١) نقلا من جريدة « يقظة العرب » الاميركية تاريخ ٢٣ و٣٠ تموز سنة ١٩٢١

طبقا بعد طبق يقتسمون بلادهم فيما بينهم تقاسم لايسار الجزور وينقضي الامر وينتهي النزاع ، واذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يع من صنعته الخلابة ومهنته الكـذب والرياء ان يجاوب أولا بالالفاظ التي قد جاوب بها من قبيل: استقلال وتحرير، وترقية، وتنمية، وسيطرة وقتية، ووصاية أبوية، وارشاد الى وقت بلوغ الاشد. وغير ذلك من الخزعبلات التي لا يخجل أمثالهم من ان يجعلوها شباكا للصيد وخطاطيف للقبض فان لم تنفع هذه الالفاظ ولم تنجح هذه العناوين الضخمة في اخفاء المرام وتهوين المصاب فيكون الجواب صرحه برحه بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة والنيران المحرقة ويقال ان ذلك انما هو موت لأجل الحياة وقطع للاعضاء الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدنية وهمجية لاجل الانسانية(!!)

ولـكن ساء في هذه النوبة فألهم وكذب خالهم ورأوا من العرب مالم يكن يخطر لهم على بال اذ وجدوا هذه الامة بعد انفصالها عن الامة التركية أشد نفورا من حكومة الاجنبي مما كانت من قبل، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة وظن الحلفاء الغالبون ان البلاد قد بردت لهم عفوا صفوا حتى لقحت الحروب في الشرق الادنى والاوسط من الجهة الاخرى وقام العرب ينادون بالثارات ممن نكثوا بالوعود وخفروا العهود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يعدلها نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البعوث على البعوث وتلف الزحوف على الزحوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى وتنسف المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ الف مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لاتفوز بطائل ولا تصل الى غاية تذكر ولا تزداد من اهل تلك البلاد الابغضاً وعدواناً وسخيمة وشنآناً الى ان يئست من تدويخ العراق بالسيف وبعد ان كانت لا تعير مطالب اهل العراق ادنى بال وكانوا يشكون اليها فيشكون الى غير مصمت (١) عادت هي تستصرخ الملك فيصل وذويه الى حمل العراق على قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترة النيابة الخارجية وعادوا هم لايرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه تاماً ويتنجزونه باتاً مطلقا ولا يرضخون للانكليز الا عن بعض مسائل

(١) أي الى من لايعبأ بالشكوى

اقتصادية لاغير مع ان العراق قبل الحرب العامة لم يكن يحسب احد انه ينطوي على مثل هذه القوة ولا أنه يقتضي لتدويخه اكثر من توابير ممدودات ، ولكن الحرب العامة أضاعت كل حساب وأتت من ظهر الغيب بما كان يظن من الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا انها تقبض عليها بمجرد خفوق العلم الفرنسوي على تكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من ١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من العساكر ولم تكسب من وراء ذلك سوى زيادة الاحقاد والاحن والقاح العداوات والفتن وكون من كان يناويها قبل الاحتلال قد ازداد رأيه يقيناً ومذهبه استبصارا ومن كان يميل اليها قبل ان خبرها من قريب وقارفها تحت العمل قد تحول عنها تحولا فات فيه اعداءها الاصليين واتفقت كلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسعى به الى ناحية وطنه ، فاللبناني ينادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية ، والفلسطيني ينادي باستقلال فلسطين ، وليس من كل هؤلاء من يرضى بسيطرة فعلية لفرنسا ولا لانكلترا أو لغيرهما بل غاية ما هنالك عدة مأمورين من باعة الذمم وتجار الضمائر وعدة صحف من قبيل الربابات المعروفة عند البدو أو زمور الاعراس يعزف عليها العازف لمن شاء ولمن يمنى البخت على رأي اصحاب هذه الآلات ، فهؤلاء لايزالون يتشدقون بلفظة « انتداب » ويتمنطقون بكلمة « ارشاد » وعبارات مموهة وجمل مزخرفة من قبيل « الاخذ باليد في معترك الحياة » ومن طائفة « تسديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات الفارغة المخالفة للواقع وتشدقهم يدوم مادامت يد فرنسة في حلوقهم وما دام سيفها مسلولا أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ مليارا أي أربى على مجموع ثروتها العمومية بكثير (لان مجموع ماتملكه فرنسة لايزيد على ٢٨٠ مليارا) من ان تعجز عن متابعة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكية فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك تحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا خونة لاوطانهم فهم اولى بأن يخونوها هي وان لايصدقوها القول ولا ينخلوا لها النصيحة وان يقلبوا لها ظهر المجن عند اول غرة لائحة . وسواء كان مثل هؤلاء معها أو عليها فلن يقدروا ان يؤثروا شيئا في تحويل مجرى الاحوال العامة اذ لابد لاهل سورية من نيل استقلالهم التام الناجز المحقق بالفعل العالي عن المماطلة المرتفع عن المغالطة ولا

بد لفرنسا من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (السوسياليت) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المعتدل بل الى رأي المسيو بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية بمهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور فالعرب لن يتركوا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكلترة في العراق بل الى اقل منها على حين يكون ما تركته من الحقد في قلوب العرب حائلا دون كل امتزاج مانعا من كل هوادة بين الفريقين

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكلترة قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح ووصايات عصبة الامم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطنا قوميا لليهود وفقا لتصريحات بلفور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافيا للفت في اعضاد الفلسطينيين والفل من غروب عزائمهم بحيث يستنيمون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة عددهم ونقصان شرائط انتقاضهم فرأت من هذه الجهة أيضا لها باصرا وحلت من حماية اليهود أمراً اداً وسوف تعلم هي ويعلم اليهود انهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين وكالعراقيين وكالمصريين من قبل لن يفتأوا ناصبين للانكليز العداوة حتى يقلعوا عن سياسة الاتجار بالامم ويفهموا خطر اللعب بالعهود والمواثيق ويعرفوا ان الامة العربية هي كلها من وراء الفلسطينيين لاتدع بلادهم مجالا للاطماع ولسان حالها يقول : « ودون عدواتي كلا جداع »

انظر الى اليمانيين الذين خالت انكلترا ان الاحاطة بيحرهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلا بنزولهم على حكم الانكليز وصرم حبال آمالهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ماظنت . وبعد ان كان اليمانيون تحتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى أربعين أوخمسين طابوراً بصورة دائمة انقلبوا بأسرهم عثمانيين بدون عساكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام العساكر وشدوا روابط تابعيتهم للدولة والخليفة عن ذي قبل ورفضوا ان يسمعوا بشيء من جميع هذه المعاهدات التي تعقد في باريز ولندرة ولم يكتفوا بالمرابطة في منطقة عدن ومنع الانكليز عن الخطو الى الامام قدماً واحداً حتى حصروهم في مرسى الحديدة الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء عن الحديدة بما اجهضوهم طول هذه الاشهر بالقتال غدوا ورواحاً

وكانت انكلترة راسلت حضرة الامام يحيى مرارا وعرضت عليه «الاستقلال» الذي أعلنت بأحابيل وعده كثيراً من أمراء العرب فلم يغتر كغيره ، وأجابها بانه لايبرح عثمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن حضرموتها الى عسيرها . ولن يقبل ان يطأ الانكليز شبراً واحداً من أرض اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لايعرفون سواه، ولما كان قد عجم الانكليز عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذروا من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاهدة سفرس خشية سرعة التكذيب وازدياد الخطب ، ولكن حضرة الامام خاطب السلطان محمد وحيد الدين الى الاستانة وأكد له استمسا كه بعروة خلافته وبقاء جميع اليمانيين من شافعية وزيدية في حوزة طاعته وقريبا نطلع القراء على صورة كتاب حديث العهد قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محلته في مناخة منبئا بزحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١) مما جاءت فيا بعد تلغرافات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث تلك النواحي . مازاد على ماجاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكليز انهم يحملون أمير مسقط على تجريدهم من سلاحهم فكان منهم انهم خلعوا ذلك الأمير وحصروه في مسقط وما زالوا في الثورة حتى أقلعت انكلترة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم وعاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر انكلترة ان تتعرض لهم بأدنى سوء ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية سيوفهم .

اما مصر فاننا سنفرد لثورتها ونهضتها مقالا مخصوصاً ، ولكن نقول هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب واما من جهة الترك فكانت فرنسة تظن انها تبتزهم ولاية اطنة الحصينة وانهم بتتابع حروبهم وعنهم لاسيما هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بلغوا حد الاشفاء ولم يبق عندهم رمق يقوم بهم الى الدفاع فكانت نتيجة احتلال فرنسة لكيليكية خسارتها مائة مليون ليرة ونحو عشرين الف جندي والخروج منها

(١) تهامة ساحل اليمن

يمعن شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولاهتك ستر ، ولكنها اسطنمت قوماً ظنتهم صاروا ألين من حمل النعام فاذا بهم لم يزالوا افذ من ريش القنفذ.وعلمت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت الايام وكرت الليالي فعدلت معهم عن المخاشنة الى المحاسنة وأخذ الجنرال غورو ينوه بمحامد الترك وحسن عهدهم ومحافظتهم على أصول الحرب وانه لولاهم لكان الا ن من الغابرين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) فمع كون الالمان لم يتورعوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اظن أكثر المتحاربين لم يراعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الالمان وحدهم) امسك الاتراك عن ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغراقها

ثم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه الآونة عند ماتقرر اخلاء كليكية ولكنه نسيها طول تلك المدة التي كان يذبح فيها اتراك اطنه ومرعش وعينتاب في بحبوحة اوطانهم املا بالاستيلاء على تلك الولاية . فاما قصة الامساك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند جرحه في الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش العثماني في شطر الاناضول من (شناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيس من جهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينقل الى بارجة من بوارج المستشفيات كلا ! بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا مخالف لقوانين الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليمان فون سندرس باشا قائد القوة العثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بغتة الى مستشفى فابيت انا انفاذ هذا الامر قائلا : يكفي انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحن نكف عنهم حرمة له . آثرنا استقصاء هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكارم اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بذلك السياسة ويغمطونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها

ثم ان الانكليز رتبوا على تركية معاهدة سيفر ولم يدر في خلدهم ان هناك امة تنهض من العدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان عزها وعنجهية ظفرها وتقول لهم بلسان حالها انكم حيث نسيتم مواعيدكم باستقلال الشعوب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بمظهر وبعد الظفر

بمظهر آخر واحتقرتم بهذا التقلب انفسكم فاسمحوا لنا نحن أيضا بان نحتقركم وبان لا نخضع لمقررات مؤتمركم وبان نعامل مركزكم المادي الناهض كما نعامل مركزكم الادبي الساقط وان كنتم معتمدين على ضعفنا وتجريدنا من سلاحنا واحتلال عاصمتنا وحصر سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لضعفنا حداً وان لعجزنا امدا وان لنا سلاحا من عزائمنا وبرد يقيننا وجلاء حقوقنا ومنعة مواقعنا وسعة اراضينا ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا على البلاء وبياتنا على اللاواء وان لنا من جميع الشعوب الشرقية عضداً ومن العالم الاسلامي ردءاً ومن طبقات العملة والاشتراكيين في جميع الدنيا حامياً ونصيرا ومن لنين وحزبه مؤنسا وسميرا بهذا كانت تتناجى ضمائر الاتراك وتتراسل جوائش صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على الغدر بهم فقيض الله لهم من مصطفى كمال من جسم هذه الافكار افعالا وألبس هاتيك الخوالج من العمل رداء فما شعروا الا وفي الاناضول شعب يقول لبريطانيا العظمى قني فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبلغي السماء طولا واننا لقوم نريد ان نعيش كما يعيش غيرنا وان هذا الصلح الذي تحملوننا عليه هو محو لوجودنا ولسنا له بمقرين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه ولا الموت الذي تهددوننا به أمر في افواهنا من الصلح الذي تمدوننا به لا فرق بين الموت الاحمر والابيض فكان جواب لويد جورج بما معناه ان معاهدة سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلا ولا تعديلا ومنع الوفد التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الخصام اولا وثانيا ورماهم بالجيش اليوناني تعضده الجنود الانكليزيه ودوارع بريطانية العظمى وفتح لليونان خزائن انكلترة لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولايتي ازمير في آسيا وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان ينمشوا له الاتراك ويأخذوهم اخذ عزيز مقتدر وبحث اصوات الهنود المجوس فضلا عن المسلمين في مطالبة انكلترة بانصاف تركية وتتابعت ثوراتهم فكانوا كانما يزيدون نار انكلترة على الترك اجيجا وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فنزيلوس بانه يسحق قوة مصطفى كمال في ١٥ يوماً فمضت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاتراك يدافعون وقوة حكومة انقرة هي الى الامام لا الى الوراء وجيش مصطفى كمال وان أعوزه كثير مما توفر عند غيره فقد عز بعد ذلة وعمم بعد قلة وجاءته

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لايستهان بها وان الترك يحاربون في الاناضول سنين طوالا تنفتح اثناءها على انكلترة فتن مسقطة الآجال ومحن مزلزلة الجبال فعاد لويد جورج الى النظر في معاهدة سيفر وجوز التنقيح منها بعد ان كانت عنده آية لاتنسخ وعقداً لايفسخ ولما رأت فرنسة وايطالية مارأتا من ثبات الاتراك وصعوبة مراسهم وكانتا تعلمان ان تبسط اليونان في الاناضول لاينفعهما في شيء وانما اليونان اصبحوا شرطة وجلاوزة (١) للانكليز على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقفت منذ نهاية الحرب وقفة المنصف المعتدل البصير بالعواقب في جانب العالم الاسلامي كله نصحتا انكلترة بالعدول عن هذا العناد والرجوع الى مبادئ تخيير الامم في تعيين مصيرها فرضي لويد جورج بقبول مندوبي انقرة في جنب مندوبي الاستانة مع انه كان ينعتهم من قبل بالعصاة ويعلن بأنه يستحيل بأن يجلس في مؤتمر الى عصابة اشقياء فأجلسه مصطفى كمال بسيفه الى جانب «اشقيائه» واضطره الى تعديل كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة تركية عاد لويد جورج الى عناده وابى بقاعدة تصويت الاهالي وقال هذه معاهدة تعتبر جوهراً فرداً فاما ان تقبل بزرها وعروتها واما ان ترفض بزرها وعروتها ولم يلبث ان رأى الخلف مع اليونان فيما كان اسلف من المواعيد نجاحاً لكبرياء البريطاني فعاد يسبر غور قسطنطين سراً عما اذا كان يقدر على استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بقي تحت النزاع فأجابه قسطنطين بأن الامة اليونانية ناهضة الى الحرب نهوضا نجيحا كافلة اخذ جرة الاناضول بشرط ان تمدها انكلترة بالاموال اللازمة وهكذا قر بينهما القرار وزحفت جيوش اليونان بقضها وقضيضها وجاءت بالشوك والشجر واحتلت افيون قره حصار وتباشرت ببلوغ الاوطار وانسحب الاتراك الى الوراء لايريدون ان يصلوهم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فظن الاروام ذلك خورا وعجزا ودلفوا الى الترك طامعين في الغلبة واحتلال اسكي شهر فكانت هناك الواقعة الكبرى التي اسفرت بعد حرب استمرت اسبوعا عن هزيمة اليونان الشنعاء ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح باشلاء قتلاهم وقالات جرحاهم وسقط أخو الملك قسطنطين (٢) وبعض القواد الكبار

(١) الجلواز الشرطي والجمع جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط اخو الملك

في جملة القتلى وعاد اليونان يستصرخون دول الحلفاء ويستمدونهم على الترك وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فايطاليا تفرح بفشل اليونان فرح الترك أنفسهم وفرنسا لو كانت قادرة على الامداد لما اخلت كيليكيا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكلترة لولم يمسها الاعياء لما طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تحفزت لاخلاء فارس فكيف تقدر ان تبقي خزائنها مفتوحة لحكومة أثينا ودوارعها مرصدة لحماية الاروام

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان وطاشقند والباشكرد وامارتي بخارى وخيوة وكيف هبت كل من هذه الحكومات الى ترتيب أمورها وتأثيل استقلالها بعد ان كان الروس أودوا بقوميتها واخنوا على عصبيتها لرأيت الشرق قد ركب جناحي نعامة في طلب استقلاله واستئناف مجده وتمض غبار الذل عن أقوامه وهاهي فارس التي كان الروس والانكليز قد تقاسموها خطتين وتشطروها منطقتين ولم تجسر ان تقف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم تستنجز انكلترة الرحيل التام عن أرضها وأعلنت الغاء المعاهدة التي كانت قيدتها بولائها كما انها نجحت بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بأنها نالت منها الاعتراف التام باستقلال ايران ونزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع وديون ومصارف الى الحكومة الفارسية

واما مملكة افغانستان التي هابت التهور في الحرب العامة مع جميع ميلها الى تركية فلم تقدر ان تجيب داعيها الى الحرب وشن الغارة على الهند لم تخمد نيران الحرب العامة حتى جدت بها نهضة لم تكن من قبل فبعثت جيوشها واخترقت ثغور الهند ونهضت معها قبائل شمالي الهند المشهورة بيأسها ونجدتها كالوزيري والمسعودي وغيرهما فحشدت انكلترة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لاتقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش الجرارة المرابطة ولكن القبائل لا يمهلونها شهرا حتى يناوشوها شهرا فأما أمير الافغان فقد رضي بمهادنة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل في الامور الخارجية ايضا فاجابته انكلترة الى ما اراد وصارت له سفارة في

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاء المتبادل وامداد السوفيت له بالسلاح والمدة واعادت الروسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط عثمانيين والمان ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بخدمته واثناء تحريري هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتعيين سفير لافغستان لديها والاستفادة بمعارف الالمان والارتفاق بصنائعهم كما ان عند امير الافغان معملا للسلاح أسسه منذ سنين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان ينوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته . وقد بلغنا ايضا ان في كل من أمارتي بخارى وخيوه عددا من ضباط الاتراك العثمانيين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم

واذا عطفت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان معدودا في الجغرافية من المغرب فهو في الصلة والعرف والدين والغرض معدود من المشرق تجد ان أهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي وأوجدوا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان اهالي تونس نهضوا يطلب حكومة تمثيلية معها ماطلت فرنسة فلن تقدر على منع ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الاقصى الذي على الفرنسيس انه بعد الحرب العامة يستسلم الى بأس فرنسا الظافرة فقد ثار ثورة لم يقم بها اثناء الحرب وايام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوتي يطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على أمره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما ناله مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عثارها وهبت الى الاخذ بثارها وان أمام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغرب من منامه وينزله عن صهوة غروره فانه ماتم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقع وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم بؤس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يعود كما بدا ويكري كما أرمى (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا) . . . .

- (عربي صميم)

الخمر

أمنو الخمر . مؤاخذة العلماء . اضرار الخمر الجسدية . اضرارها العقلية . اضرارها الاجتماعية . اضرارها الاقتصادية . اضرارها الادبية

يكني المسلمون الخمرة « أم الخبائث » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن أسمائها عند العرب « الاثم » قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي   كذاك الاثم تذهب بالعقول

وقد حرمها بعض العرب على نفسه قبل الاسلام لغوائلها ومضارها . ومنهم عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ، ويضحك علي من هو أدنى مني .

ثم جاء الاسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحد على شاربها وقد سألوا النبي (ص) عند تحريمها فاذا نعمل بالخمر ؟ فقال « اهريقوها » فكانت شوارع المدينة كمجاري السيل مما أريق فيها من الخمرة

وما زال العقلاء والفضلاء في بلاد الغرب يشكون من فشوها وانتشار الامراض وقتل الوقت واضاعة المال بسببها حتى سنت الولايات المتحدة الاميركية قانوناً في اول سنة ١٩٢٠ يحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان مخزوناً لديها الى خارج بلادها حتى خشيت كندة ـ وهي أقرب البلاد اليها ـ من فشو هذه السموم في بلادها فحرمت استيراد الخمور من الخارج الا الى حد محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فشوا فظيعا . وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الخمور يسمى « أبسنت » فحرمه غير واحدة من دول الغرب لشدة ضرره

وربما حرمت الخمر فيما بعد في جميع الامم الغربية وناهيك بجماعات مقاومة المسكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بأنها اسلامية مثل مصر والشام وتونس والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تزعج أي ازعاج لهذا الخطب الجلل

فان قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شريعة الاسلام يتدارسها قضاتهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الخمر فليس لاهلها شيء من الامر . فأقول : (ان صح منك الهوى ارشدت للحيل) لو ان الغيرة على الدين

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلكوا اليه كل طريق

هل سمعت بأن أحد الشيوخ طلب تعديل لائحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟ ألم يبلغ العلامة فلان أن ابنه الاستاذ فلان سكير ؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ربيبه من أفسد الناس أخلاقاً ؟ أولم يشاهدوا من أمامهم ومن ايمانهم وعن شمائلهم من مفككات روابط الاخوة ومفسدات الاخلاق بسبب الخمر وغيرها من الموبقات مالو ألقي على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب

كيف تسنى لرجال الدين في بلدة (اورنبورغ) — فيما اتذكر — ان طلبوا من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم اقفال الحانات في نهار رمضان — أيام الحكومة القيصرية — فأصدر بذلك امره بعد الاستئذان من العاصمة (بطرسبرج) وان يلقى القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤتى به الى الامام فان اكتفى بوعظه وارشاده والا سجن يوماً أو يومين. كذلك صدر الامر باقفال الحانات أيام عيد رمضان وقتئذ بطلب علماء الدين .

وهذا الشرطي الفرنسي يلقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق ويرسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أبعاد حانة أو ماخور مما في جوار المساجد والمعابد تنفيذاً للقانون المصري الذي يحظر ذلك - دع عن مطالبتهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب ؟ قد كان يرجى ذلك أو بعضه لو كانوا يعلمون ان مكانتهم الدينية توجب عليهم ذلك من طريق الدين والادب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى

الخمر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ وقد ذمها كل عاقل حتى من كان ولوعا بها وها نحن اولاء نذكر أهم اضرارها:—

اضرار الخمرة الجسدية

(١) منها الخمول والهبوط اللذان يحدث منهما زيادة التنبه في الاعصاب ويهيأن بالسكر فيتناول شيئاً من الخمر فينهض به من خموله ويرفع من هبوطه الجسدي والعصبي ولسان حاله ينشد قول أبي نواس (وداوني بالتي كانت هي الداء) ولكنه لا يلبث ان يعود فيتولاه الخمول والانحطاط ثانية بحكم رد الفعل ويحكي ان بعض المدمنين من الغربيين قال عن نفسه إن أول كأس شربها

انما كانت ليزيل بها هما عراه وكل ماشربه بعدها كان ليزيل به ما اسأرته الكاس الاولى من الهموم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ماشفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القائل

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضاً مهلكة وادواء معضلة (منها) السل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان ستين في المئة من أموات أبناء العشرين من المسلولين ، وكأمراض الكبد والرئتين والكليتين . وقد قال أحد الاطباء : ان تسعة اعشار المصابين بهذا المرض من السكارى والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع الشوكي والعضلات الدموية مما يتسبب منه الرثية (الروماتزم) وتصلب الشرايين (ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكير يكثر أكله ويضعف هضمه (ومنها) تمدد المعدة واسترخاؤها

اضرار الخمر العقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى المعاودة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالانفلات من كل قيد من قيود الوقار والحكمة. وما أحسن ما أجاب به مجنون دعاه سلطان الذي شرب الخمر ليشربها معه فقال: « انت شربتها لتكون مثلي فأنا أشربها لا كون مثل من »

بل هي جنون . قال ابن الوردي :

واهجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل

(٤) ومنها الذهول العصبي والنوبات الهستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النسل فانقراضه لان مدمني الخمر كثيرا ما يصابون بالعقم ومن يلد منهم فانما يلد نسلا ضعيفا دميا أو أبله معتوها وقد يتدلى النسل حتى ينقرض . وقد قال بعض ساسة الاوروبيين وحكمائهم :

ان انقراض الامم المتوحشة سيكون بفتك الاشربة الروحية بهم

(٢) ومنها فساد التربية المنزلية لان السكير لا يلتفت الى تربية أولاده واذا وكل أمر تربية الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً في بلاد كهذه البلاد التي يقصد بتربية ناشئتها الى تربية خاصة تمسخ الامة مسخا وتجعلها بين فلاهي جاهلة ولاهي متعلمة وتحملها اوزاراً من زينة الاوربيين وازيائهم تكون هي الداهية بمشخصاتهم ومقوماتهم

(٣) ومنها سد باب النبوغ والاختراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكارى لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان السكير من ارباب المصانع فسد نظام مصنعه وان كان من أصحاب الارض اختل نظام زراعتها فاننا نرى كثيراً من أهل الثراء الذين لا يعرف السكير منهم موضع أرضه ولا ماذا أصلح فيها الزراع أو أفسدوا، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئا او يكل ذلك الى مدير العمل والكاتب والجابي، وكثيراً ما ارى امثال هؤلاء من غفلة اولئك الذين اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروتهم الا ماتعودوه من السكر الذي يلجئهم الى التسول ومنهم كثير في مصر نعرفهم بسيماهم نرى أمثال هؤلاء وهم على ما وصفنا

(٤) ومنها ايقاع العداوة والبغضاء بين اعضاء الاسرة الواحدة وافراد الامة مما يفكك روابطها ويفت في عضدها ويجعل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع الاخوان وتفرق الزوجان وافرط عقد الاخوان وعق الوالدان واهمل امر الولدان بسبب بنت الحان ؟؟

اضرار الخمر الاقتصادية

حقاً ان داء مصر في المسكرات لدوي اذ ان معدل مايشربه المصري يزيد على ضعفي مايشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الخمر مايشربه ويتجر به في الخارج ولكن مصر لا تصدر خمرا خارج حدودها ولا تنتج مايستهلكه اهلها فضرر الخمر الاقتصادي فيها أكثر منه في كل بلد في المعمور لذلك يثرى الخمار في مصر بسرعة، فن اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتتسرب اموال الامة الى البلاد الاجنبية بسبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريع والانتاج فحسب ولكنه تعدى الى رقبة الارض فكم من المزارع ـ والتفاتيش ـ

والضياع — والعزب — والاباعد تحولت الى الخارين والقوادين من ابناء يونان ؟

(٢) ان المقدر ان تحريم الخمور في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مئة مليون جنيه في السنة مما كان ينفق في الخمر ووسائلها ، اذاً ماذا يقدر ان يوفر تحريم المسكرات لاهل مصر ؟ انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر ان المصري لا ينفق في سبيل الخمر أكثر من اربع جنيهات في السنة وانا أرجح انه ينفق ثماني جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح فان تحريم الخمر في هذه البلاد يوفر أيضا لاهلها ١٢٢ مليون جنيه في السنة تضاف الى رأس مال الامة .

(٢) انقاص رأس المال ، والتمادي في استهلاك رأس المال هو الانتحار الاقتصادي السياسي . وهذه حالة مفزعة ظهر أثرها في مصر ظهوراً بيناً . نعم اذا بحثت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال الثابتة الى الاجانب فلا نرى الا سبباً واحداً هو الخمر وهي رسول الميسر وداعيته — اذ قلما نرى سكيراً غير مقامر — فظهر مصداق قوله تعالى (فيهما اثم كبير) وأي اثم اكبر من هذا الاثم الذي هو مجلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين

(٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبعض رأس المال وتسرب به الى الخارج البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

(١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكير لاقيمة له بين أهله وولده وحشمه وجيرانه

(٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالي الشراب وذلك مما يذهب بالاحترام الشخصي ويخل بالمكانة الادبية .

(٣) و٤ — ذهاب الحياء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة . ولاحياء لمن لادين له ولا دين لمن لاصلاة له وذكر الله جلاء القلب ونور الروح ومصباح المدلج ؟

لم أرد بهذه العجالة أن أضيف الى المنار بحثاً أهمله فقد أتحف المنار على المهلكات — ومنها الخمر — من أول نشأته وأبعد ما أذكره ما في المجلد الرابع في ص ٨٨١ — ٨٩٠ وفي ص ٨٩٧ وأقربه ما في الجزء الثاني من التفسير

صالح مخلص رضا

شذرات أدبية*

١ — آداب المكاتبة

أو المجاملة والقناعة

كان محمد بن حازم الشاعر جار سعيد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فهجاه لامر كان بينهما فبلغ سعيد هجوه فاغضى عنه مع القدرة ثم ان محمداً ساءت حاله فتحول من جواره. فبلغ ابن حميد ذلك فبعث اليه عشرة آلاف درهم وتخوت ثياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب اليه« ذو الادب يحمله ظرفه على نعت الشيء بغير هيئة ، وتبعثه قدرته على وصفه بغير حليته ، ولم يكن ما شاع من هجائك في جاريا الا هذا المجرى. وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلتك ما لا غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك ، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون فيما تحت أيدينا ، وقد بعثت اليك بما جملته وان قل ، استفتاحا لما بعده وان جل » فرد ابن حازم جميعه ولم يقبل منه شيئا وكتب اليه

وفعلت بي فعل المهلب اذ غمر الفرزدق بالندى والدثر
فبعثت بالاموال ترغبني كلا ورب الشفع والوتر
لا أقبل النعماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ — اداب المعاشرة

اني ليهجرني الصديق تجنبـا فأريه أن لهجره أسبابا
وأخاف ان عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متغافل يدعو المحال من الامور صوابا

*) جمعها شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) سعيد بن حميد ويكنى ابا عثمان وكان ، يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس. له من الكتب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية، وديوان رسائل وديوان شعر صغير وهو شاعر أديب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته جيد السرقة ،حتى قال بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سعيد وشعره ارجع الى أهلك لما بقي منه شيء

أو ليته مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا
الناشئ الاصغر (١)

٣ ـ التقسيم العجيب

لح كوكباً وأبد غصنا والتفت رشا فان عداك اسماؤها لم تعدك السيما
وجه أغر وجيد زانه جيد وقامه تخجل الخطى تقوما
يامن تجل عن التشبيه صورته أأنت مثلت روح الحسن تجسيما
لوشاهدتك النصارى في معابدها ممثلا ربت فيك الاقانيما
حبوبي (٢)

٤ ـ ومنه في وصف مغن

رنا ظبيا وغنى عندليبا ولاح شقائقا ومشى قضيبا
بعض الشعراء في عصر الثعالبي (٣)

٥ ـ ومنه

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا
المتنبي (٤)

٦ ـ ومن الابداع في هذا

وبيض بالحاظ العيون كانما هززن سيوفاً وأستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومسن غصوناً والتفتن جآذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا
الزاهي (٥)

٧ ــ الانحياز الى العدو عداوة

اذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدنا مصافيا

(١) هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف المعروف بالناشئ الاصغر الشاعر المشهور وهو من الشعراء المحسنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٦

(٢) محمد سعيد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي صاحب اليتيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) احمد بن الحسين المتنبي قتل سنة ٣٥٤ (٥) الزاهي هو علي بن اسحاق بن خلف البغدادي المعروف بالزاهي توفي سنة ٣٥٤

فلا تسألن عما لديه فانه هو الداء لايخفى بذلك خافيا

صعصعة بن ناجية

واخذه بعضهم فقال

٨ — اذا صافى صديق من تمادى فقد عاداك وانقطع الرجاء

٩ — رثاء برذون

كان لمحمد بن عبد الملك برذون اشهب لم ير مثله فراهة وحسناً فسمى ساع الى المعتصم ووصف له فراهته فبعث المعتصم اليه فأخذه منه فقال ابن عبد الملك يرثيه

كيف العزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الاحم الاشهب

ومنها فالآن اذكسلت اداتك كلها ودعا العيون اليك لون معجب

واختير من سر الحدائد خيرها لك خالصاً ومن الحلي الاغرب

وغدوت طنان الحديد كانما في كل عضو منك صنج يضرب

وكأن سرجك اذ علاك غمامة وكأنما تحت الغمامة كوكب

ورأى علي بك الصديق جلالة وغدا العدو وصدره يتلهب

ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني وقوى حبالي من قواك تقضب

ورجعت حين رجعت منك بحسرة لله ما فعل الاحم الاشهب

١٠ — توافق الخاطرين ، بين الشاعرين

خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة الى هشام بن عبد الملك الاموي وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجة فجعلت الناقة تتلفت فضربها الفرزدق وقال : —

الام تلتفتين وانت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال : الآن يأتيني جرير فأنشده هذين البيتين فيقول :

تلتفت انها تحت ابن قين الى الكيرين والفأس الكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها كخزيك في المواسم كل عام

فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : مايضحكك يا أبا فراس ؟ فأنشده البيتين الاولين فأنشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد قلت هذا ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟ (يتلى)

باب انتقاد المنار

رد جريدة القبلة
على الحقائق الجلية في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب احد المتملقين لامراء مكة في جريدة الاهرام يؤاخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعزع الثقة من اتخاذه هو وأمثاله زعماء العرب مشايعة السياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تقويض صرح اكبر دولة اسلامية يعتز بها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها والثأر للملك الانكليز قلب الأسد ومن كان معه من الصليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستعمارسائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب أن ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وانما كانت مقالته عبارة عن لوم وتثريب، وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آلة بيده… ولو صح أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك بدافع شيئاً من انكارنا على امراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والمصلحة العربية

وقد كان من جناية ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدفاع عنهم أنه حملنا وحمل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لايقرأون المنار فعرفوا جناية أولئك الامراء على الاسلام والعرب وانه لايملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتها المنار شيئاً .

ثم اتاناطلعنا على العدد ٤١٠ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لكل المطلعين على تلك الجريدة بإنشائه الغريب فرأيناها كما كتب الينا بعض من اطلع عليها قبلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوربة اذ قال: «وجدتها بمكان سحيق من السخافة يكفي في الرد عليها نشرها » فرأينا ان ننشرها ونرد عليها وان كان رأي صاحب هذه العبارة صحيحا لان سائس جريدة القبلة مغرور

مفتون بكل مايكتبه فينبغي ان نريه قيمة ما كتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار » وهذا نصها :

أأعجمي أم عربي؟؟

تحقق لدينا في هذا الاسبوع — احتدام غيظ وغضب وعداوة وبغضاء مولانا . . . ومصباح ظلامنا . . . رشيد رضا — على سيدنا مولانا المنقذ وأنجاله مما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغر من كرنه بالتنديد الملوم الشكل والماهية :

وعليه فلا يسعنا أن نأتي بشيء في الموضوع الا بيانًا بأن الروابط التي يزعمها حضرته تجعلنا نسترحم عواطف مدارك ارشادات كمالاته العفو والصفح . . . ولا نظن أن عظم جريمة . . سيدنا المنقذ وأنجاله في نظره — ينسيه : «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» أئله ان المعظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواه بتلك الفضائل . . . والجلائل . . . — تأبى شهامتها المبادأة بأبسط من ذلك التعريض «الذي هو على طرفي نقيض» حتى بالاجانب فضلا عمن تزعم أنك من عنصرهم وهذا لا نشك أنه من نجابة دستور شعور تلك السجايا والمزايا . . .

ومع ذا فلا نظن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا بياناته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الامة الاوحد . . . وهاديها الفرد الاعجد . . .) أولا : أهو عربي أم أعجمي؟ . واذا كان الاول فليسلسل وثائقه الى القحيذة التي يريد أن ينتمي اليها . وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره . . . وتترادف كبرياء

عظمته . . . لدينا ليس إلا

ولا بأس أن نشفع طلبنا هذا بقولنا : ان مجابة شعور ذلك الدستور تقضي علينا أيضاً بأن نكتفي عن البحث في الموضوع بما أورده أحد قرائنا الافاضل مما ادرجته « القبلة » في عددها الذي قبل العدد الماضي المتضمن الرد على عداء مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله :

(يعرض الاستاذ بأمرائنا في شؤون المسألة السورية فنقول له : عساه ان يتأمل مواقفهم وأعمالهم الناتجة باخراجهم « بقدرة الباري » للجنرال ليمان فون سندرس وما ادراك ما سندرس من سورية ويطبقها على نتائج مواقف حضرته التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو. ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن ينكر هذا وهو القائل بأنه كان الآمر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء من الوزراء ويقرب من يشاء ويبعد من يشاء الخ) انتهى

فاذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هاتين النتيجتين اللتين جمعتا فأوعتا القضية من مبدأها الى منتهاها بعد تطبيقها ومقايستهما على ماذكر — تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدها الشيخ رشيد بقوله : (الحقائق الجلية في تاريخ القضية العربية) : عنوان مقالة تنديده بسادتنا

فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرته والعالم لسندرس وألمانيته ، وادخال مولانا الاستاذ وهيأته كما ذكر لغورو وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريتنا وحوادثها ؟ أو هل يقتضي بحث أي مؤرخ فيها ، ربنا لا تضلنا بعد اذ هديتنا

لاندري وأبيكم كيف فات على تلك العظمة وكبريائها بأن الكثير حتى

من البسطاء أدرك ما في اظهار تلك العظمة والانانية لهذا العداء والبغضاء ومصارحتها به أثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقنا غورو وجعلهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتعريض والنيل من أشبالنا(١) وسرائنا هو فصل من تلك الفصول وجملة من تلك الحقول؟ ... فليتأمله !!

أما بحثه عن عدائنا للترك فقد أجاب عنه طليمنا في عدد(١٣٥٠٤) من اهرامنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلالة ملك الحجاز «حسب تصحيحك الاخير» «بعداوة» الاتحاديين التي أدت الى محاربتهم وهذه أدت لمحاربة الاتراك لكون الامة التركية كانت تأتمر بأمر الاتحاديين ولم يكن بالامكان سوى ذلك فهل للسيد الاستاذ ان يبرهن عما اذا كانت العداوة لاتؤدي الى الخصومة والخصومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين عنصرين وفي زمن حرج كالزمن الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب العامة؟ وما حمل جلالة ملك الحجاز لمناوئتهم الا ما كان يسمعه عن ظلم جمال وقتله خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التحريض ضد الاتحاديين بعد عودتكم من الاستانة وما كان يذكره في الجرائد العربية طلاب الاصلاح في سورية . فعل ما فعل ولكن الظروف الاخيرة عاكسته وتخلى عنه حلفاؤه بعد ان داسوا حقوق الشعوب الضعيفة ولم يراعوا عهوداً ووعوداً فالقوة القاهرة اليوم لا تمنع امة بأسرها من المطالبة بحقها المشروع والذود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشفع ذلك بقولنا أيضا : انه يعز علينا أن

(١) ليتأمل القارئ، كلمة أشبالنا ومن قالها

أنانية تلك العظمة والكبرياء تنقض اليوم ما قالته بالامس فان منارنا . . . ومظهر فخارنا . . . كما أنه موجود لدينا - ضروري انه موجود أيضا لدى كثير من قرائه فانه مشتمل على الغارات الشعواء التي شنها مولانا على الترك بما هو معلوم

ومع ذلك فلابد أن هناك دواعي . . . وأسبابها . . . لهذا التخليط والتخبيط والتغليط لا تدركها الا أنانية تلك العظمة والكبرياء ! . . غير اننا والحالة هذه نلتمس احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أهم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟ والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتأملين والمدققين - الى ما نقلته البرقيات الاخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكماليين على إخلاء انقرة وانتقالهم الى قيصرية - ليطبقوا هذا النبأ على استعجال الشيخ رشيد بضربه المثل بهم في مباحثه التنديدية بسادتنا في كفاءة الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نظن (ان صح تركهم لانقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تبليطك يامولانا لدمشق » اه كلام جريدة القبلة بنصه السقيم وغلطتها المعروفة

(المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والخطل الشرعي واللغوي والسياسي لشغلنا قراء المنار زمناً طويلا بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار عليها فنكتفي اذاً بما نراه مفيداً من ذلك :

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئاً من « الحقائق الجلية » التي أثبتناها في مقالنا التاريخي لخصره الانكار والرد علينا بما أورد في مقالته يتضمن الاعتراف بتلك الحقائق كما سبق لنصيره الذي رد علينا في الاهرام، فما أورده ينحصر في مسألتين مبتكرتين ، ومسألتين منقولتين

اما المسألتان اللتان جادت بهما قريحة سائس القبلة وقلما يصدر مثلهما الا من ذلك الفكر الغريب ، والدماغ المخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما وأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة : أأعجمي ام عربي!

انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سائس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه باخراجنا من الامة العربية والحاق نسبنا بالاعاجم والظاهرانه يعني بهم الترك الذين أنكرنا عليه عداوته لهم ومحاربتهم ايام توليا للانكليز ولنا في هذه المسألة ابحاث :

(١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي بدليل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فأكثر مسلمي الارض من عرب وعجم اتراك لانهم يشاركون صاحب المنار في رأيه وشعوره في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرفاء فقدعلمنا بالخبر وخبر الثقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكومتهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الالمن يثقون بأنه لا يفشيه لحاكمهم المطلق

(٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا من المشاركين لهم في نسبهم فا القول فيمن ينتصر لقوم باللسان ، والسيف والسنان ، ويحارب أهل دينه ويخرج على سلطانه وخليفته ويتولاهم عليه ؟ أليس هو الاولى بأن يعد منهم ان لم يكن بالنسب فبقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم)

(٣) يعد ان خاطب سائس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من عنصرهم » اي العرب سأله سؤال تعجيز : أهو عربي ام عجمي ؟ (قال) « وان كان الاول فليسلسل وثائقه الى الفخيذة التي يريد ان ينتمي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتمي اليها — فياليت شعري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملك العرب الا يعتدوا بعربية احد الا اذا جاءهم بوثائق مسلسلة الى الفخذ او الفخيذة التي ينتمون اليها او يريدون الانتماء اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والعراق وامثالها كمصر والمغرب الادنى والاقصى ؟

(٤) ان سائس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطعن في نسبنا طعناً بليغاً باخراجنا من الامة العربية باسرها جهلا منه بدينه وبنفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

صحيحه . والمراد ان ذلك من اعمال الكفر والجاهلية . ونحن قد ذكر لنا بعض أهل بيوتات مكة ما هو مشهور فيها من ان بعض كبراء أمرائها ... قد ثبت بطلاق نسبه في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن امه - وهي مملوكة بالطريقة المعروفة اليوم (وهي غير شرعية غالبا) - دخلت بيت ابيه وهي حامل به ووضعته قبل ان يتم لها في داره اقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك . فقلنا لكنه يدعي النسب العلوي وحكم الشرع أن الناس مأمونون على أنسابهم وان الطعن في النسب من عمل الجاهلية ونحن لم نطلع على الحكم الشرعي الذي تذكرونه ، فأين هذا الادب الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاته بالشرع والدين ؟

(٥) يقول سائس القبلة متهكما كعادته انه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة « ليتضاعف قدره . وتترادف كبرياء عظمته . » لديه أي بالنخيذة الحقيرة التي يريد الانتماء اليها . وجوابه ان صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وجميع اهل قريته (القلمون) ما عدا الدخلاء - وهم قليلون معروفون - شرفاء ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال : سيد شريف من القلمون - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى اذا اطلق لقب « السيد » عند اهل العلم والادب والوجاهة في طرابلس وبيروت ينصرف اليه - لم يفتخر يوما من الايام بنسبه لا قولا ولا كتابة (*) فهو يدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموا من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الذاتية فلم يجدوا لهم مفخرا يتكبرون به على الناس الا الانتماء الى اولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بمجرد النسب ، فأبو لهب أخو حمزة والعباس رضي الله عنهما . وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

(*) قد يرد علينا ما يحفظه بعض الادباء من قولنا في القصيدة الشرقية التي نظمناها كسائر شعرنا في الحداثة زمن طلب العلم

معلقات فحول الشعر قاصرة ... عنها كمقصورة الشهم الدريدي
تطوى قصائدهم طي السجل اذا ... ما ساجلت شعر كندي وعبدي
ورثت من فصحاء الهاشمية ان ... تنثر ومن لسن النسل الحسيني

والجواب ان هذا فخر بالفصاحة لم يقصد به الفخر بالنسب بل لم تقصد من الفخر الا أسلوبه ، على اننا نستغفر الله منه ومن مثله في قصيدة الجاهلية

ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) وقد روى الترمذي في جامعه وغيره من حديث ابن عمر أن النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بآبائها، الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس ، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب،قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا ـ الى قوله ـ خبير) والاحاديث في هذا الباب كثيرة

نعم ان صاحب المنار لا يعد شرف النسب سبباً للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سبباً واحداً وهو شعور المتكبر بمهانة يحاول اخفاءها بتكلف اظهار نفسه كبيراً، على انه لو كان يفاخر بعلم اونسب لما كان يحفل بأن يكون من العظماء في نظر سائس القبلة بعد أن علم من حاله ومن العظماء في نظره ما علم. الكبر غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد العرفاء (ص) وصاحب المنار يحمد الله تعالى ان وفقه للخضوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطالب أهل العلم والرأي بعناوه في كل سنة ان يبينوا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرجع اليه. ولم يجهله كن لا يتجرأ أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه حرف بعض آيات القرآن لفظاً ومعنى وكذب على الرسول فيما عزاه اليه من الموضوعات وقد أرشدنا بعض محرري القبلة الى تنبيهه فلم يتجرؤا بعد ان جربوا النصح والتنبيه فأهينوا وهو يحتقر العلم والعلماء ومن فوقه من السادة والامراء

(٦) لوصدق سائس جريدة القبلة ومحاميه الدكتور طليم في زعمهما أن صاحب المنار قد افتخر بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤتمر السوري العام الذي كان يمثل الامة وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان أبعد عن الصواب وأحق بالنقد من جريدة القبلة وسائسها بما نشر فيها من الفخر والتبجح بقول التيمس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا أبدالا ذكرت التيمس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة . فجعل سائس القبلة هذا القول فخرا للعرب الذين انتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله «فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون، ولمثله فليعمل العاملون» فجعل قول التيمس بالمكانة التي خص بها كتاب الله تعالى لقاءه في دار كرامته بصيغة الحصر فقال مشيراً الى ما دل عليه ما قبله من الخلود في النعيم المقيم والامن الدائم

من العذاب (ان هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون) فخالف سائس القبلة كتاب الله تعالى وجعل رضاه الانكليز المستنيط من اشراكهم للعرب أو الحجاز مع اليهود الصهيونيين والارمن في ارث ملك الدولة العثمانية هو الفوز العظيم الذي يجب أن يعمل له العاملون دون سواه كما يعمل المؤمنون المتقون لنيل رضاء الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ماهو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ماقاله ملك الحجاز نفسه في كتاب لنائب ملك الانكليز بمصر ونشره مرارا في جريدة القبلة افتخارا وتبجحا به لحسبانه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به المسلمون وهو أنه بعد أن أدلى باخلاصه واخلاص اولاده «الذين لاتغيرهم الطوارئ والاهواء» لبريطانية العظمى وطالبها بانجاز ما كان طلبه منها لاجل نهوضه بالخروج على دولته وقتالها معها أو تمييز بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة اليه — وبعد أن صرح بانه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من دونها ـ قال ما نصه «ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بنصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويخزى لمخلوق بجعل العبودية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان الله ونعيمه في الآخرة أومثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا فان « المقررات » التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة عن تأليف انكلترة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والمحافظة عليها في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعـد بأي شكل حتى الدسائس الداخلية واعتداء الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه « مقررات النهضة » وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحفظها له في داخليتها وحماية حدودها ومن غير ان تكون البصرة « تحت اشغال العظمة البريطانية » كما اقترح من تلقاء نفسه — وفلسطين لليهود الصهيونيين وسورية للفرنسيس كما

لو قرر له مؤتمر الصلح كل هذا بدون وساطة «العظمة البريطانية » وقبله يكون مطروداً من رحمة الله تعالى كالمليس لعنه الله ومن المعلوم أن «العظمة البريطانية» لم تنفذ تلك المقررات التي جعل تعديلها سببا موجبا لخروجه مع أولاده من الحجاز أو بلاد العرب الى حيث تختار لهم العظمة البريطانية ، وهي لا تختار لهم الا الامكنة التي هم فيها فانهم لا ينفعونها في سواها .

شماتة سائس الحجاز بالكماليين

والمسألة الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي التماسه من صاحب المنار « ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أهم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟» وقفى على هذا السؤال بذكر ما نقلته البرقيات من عزم الكماليين على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتنويهه بهم وتفضيلهم على زعماء الحجاز يعني انهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً، وطالما أظهرت جريدة القبلة الشماتة بهم، وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه الشماتة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الهلال كسروره من قبل بفتح القدس وبغداد ودمشق الا بعد أن نصر الله الكماليين على اليونان وأقصوهم عن أنقرة مدحورين مدحورين، وليعلم سائس القبلة أن العالم الاسلامي لا يحتاج الى مرشد يرشده الى من يقتدي به من فريقي القسطنطينية وأنقرة، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم الى ضد ما تنشره به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة ، وهم يعلمون أنه لا خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وانما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل انقاذ بلادهم كلها وسلطان خليفتهم من السيطرة الاجنبية التي يفتخر سائس القبلة وحكومته الحجازية بالخنوع لها طوعاً واختياراً بمثل ما نقلناه عنها آنفا. نعم ان الآستانة خدعت أولا بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد الكماليين عصاة ولم يكن ذلك ميلا للعالم الاسلامي الى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم أن يكونوا آلات لاولئك الاجانب ولكن الاستانة لم تلبث ان ثابت الى رشدها وعرفت للكماليين فضلهم عليها وعانق مندوبها في لندن مندوب انقرة. أليس صاحب المنار صادقاً في حكمه بأن زعماء أنقرة سجلوا الأمتهم الاسلامية لا لشعبهم التركي وحده الفضل والفخار وزعماء الحجاز سجلوا على انفسهم وأعوانهم..... ؟

هل اخراج الترك من سورية مفخرة الحجاز

وأما المسألتان الثانية فالاولى منها نقلتها جريدة القبلة عن نصيرها وهي ان زعماء الحجاز هم الذين أخرجوا القائد الالماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية من سورية فالخروج ابناعنها على فرض التسليم أننا نعدها من أعظم النكبات التي أصابت العرب والاسلام بشؤمهم بسلبهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الاسلامية التي جعلت لاهلها من الحقوق في الدولة مثلما للترك فيها ليحل محلهم فيها الانكليز واليهود الصهيونيون والفرنسيس وحالة أهل البلاد معهم معروفة. ولكن سائس القبلة وذكوره من طائفة الدروز ومن أيده كرياض أفندي الصلح من طائفة أهل السنة من المسلمين يفضلون أخذ الافرنج للارض المقدسة والارض المباركة (سورية) على سلطان الترك عليها ويخالفهم في ذلك العالم الاسلامي كله والسواد الاعظم من أهل سورية حتى النصارى الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال البلاد، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو روبير دوكيه ناموس الجنرال غورو أخبرني رجل من أشهر انصاركم واعلمهم بحال البلاد انه لو خير اهل لبنان حتى الموارنة منهم بينكم وبين الترك لفضل الترك عليكم ثمانون في المئة من أنصاركم الموارنة فا القول بغيرهم فقال اننا نعلم شيئا من هذا ولكن دون هذه النسبة. وقد قرأ امس قبل في جريدة القبلة مقالا يتشاءم فيه سائسها من انتصار الكماليين على اليونان وينبه الانكليز الى مافيه من الخطر على سورية ويحرض حكومته لتلافي هذا الخطر، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة انقرة — وكنا في مدينة جنيف بسويسرة — اظهر رياض افندي الصلح السرور وعلله بأن انتصار الترك ربما يفضي الى زحفهم على سورية ؟ قلت وهل تفضل الفرنسيس على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيس واليونان، وتفضيله للانكليز بالاولى، ثم انه لايفضل ذلك على الاستقلال؛ ولو أن سورية نالت الاستقلال عما يفتخرون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في الفخر، ولو باطلا كما يتنازعون به بعد هذه العاقبة السوءى لعملهم المبني على الفساد من أول يوم

نحن نسلم دمشق لفرنسة

هذا وان من الجلي البين أن تبجح سائس جريدة القبلة نقلا واقراراً باخراج

العثمانيين من سورية هو نص صريح بأنهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيس الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقدمتهم ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبله الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلموه بالقسمة اتفق مع موسيو كلمنصو على اقناع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طليعة المعارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساله وبعد ذلك، وهو لم يستطع قبول انذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه الا بعد تعطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها الى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الامة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان اكبر ممثل للامة لانه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكا باسم الامة فاذا كان سائس القبلة ينكر هذا او يماري فيه فاننا ننشر نصوص البرقيات التي ارسلها الملك فيصل الى الجنرال غورو وما احتف بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل للمؤتمر بانه قرر خيانته وقتله وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها،

اليس من غرائب شؤون البشر ان يقول العالمون بهذه الحقائق ان صاحب المنار هو الذي ادت مواقفه الى تسليم البلاد الى الجنرال غورو ؟! ثم يطلون ذلك بزعمهم تهكما أنه ادعى انه كان هو الآمر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء ؟ وهل يمكن ان يصل احد الى سفه نفسه بمثل هذا الا بخذلان من الله ؟

من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلة عن نصيرها وهي زعم الدكتور طليع الذي ارتضاه سائس القبلة ـ ان صاحب المنار اشار على ملك الحجاز بمعاداة الاتحاديين فأفضت المعاداة الى قتال الترك لان امر الدولة كان بأيدي الاتحاديين ـ فهي تضليل ظاهر وافك بين فان صاحب المنار اناذهب الى الحجاز حاجا بعد خروج امير مكة على الدولة وقتاله اياها واستعانته عليها بالدولة البريطانية التي ايدته بأساطيلها وببعض الجنود المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بجدة ومكة والطائف وفي تلك الاثناء نصحناله بما اشرنا الى بعضه في بعض المقالات تحت اشراف المراقبة الثقيلة على المنار وصرحنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهمه التحذير من عداء الامة التركية وان يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وان يحصر عداوته في خطة الاتحاديين الطورانية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع كما صرحت بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد بمنى واظهر لي القبول وكان هذا ممكنا

وبعد العودة الى مصر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليها ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح ، ولقد استغربنا اقرار سائس القبلة ماذكر من سخف نصيره والحامي عنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلالة ملك الحجاز لمناوئتهم(؟) الا كذا وكذا. فهل كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالاة انكلترة ومساعدتها على قتال الدولة العثمانية ؟؟ أم كان ذلك بفعل الدسائس والجنيهات الانكليزية ؟؟

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مشايعة ونصرا لجمعية علماء الاستانة وللاحزاب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وفتن بالعصبية الطورانية حتى كان جميع المتدينين خصوما له وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدريج ، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على الترك ولا على الدولة بل كان انتصاراً لها. وقد علمت في أوربة أن السواد الأعظم في الاستانة والاناضول صار خصما لاولئك الغلاة وائتمروا بالفتك بهم بعد انتهاء الحرب . ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك العصبية الجاهلية التي أنكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنبين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ افترى الدكتور ظليم علينا ما شايعته عليه جريدة القبلة من زعمه اننا كنا نحرض على الترك وان ذلك كان من أسباب خروج أمراء الحجاز عليهم وغرضهما من ذلك معروف جلي، والا فليأتونا بنص من المنار يؤيد زعمهما . كما افترى علينا الدكتور ظليم بأننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب . والصواب اننا كنا في أول العهد بالثورة غير مطلعين على دخائلها وأسبابها فظننا انه يمكننا أن نوقفها عند حد ما يسميه المناطقة قضية مانعة الخلو وهو اما ان تنفع واما ألا تضر وبذلنا ما استطعنا من النصح في هذه السبيل ، وقد رابنا كلام الرجل في مكة وان صرح في حفلة منى العامة

جهرا بأنه لم يعبر احد عن رايه من غير تواطؤ قبل خطبتنا في تلك الحفلة . ونحن نذيل هذا الرد بنص بلاغ حكومة الحجاز الرسمي بمنع المنار من الحجاز الذي منعتنا المراقبة من نشره في ايام الحرب . وهذا نصه منقولا عن عدد ٧٨ من جريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

«ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ ، مجلد ١٩ ، الصادر في محروسة مصر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بمن قدم البنا من ابناء العرب والتحامل عليهم لاتعتبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الحط والنيل منها ، اذ ان الافاضل النجباء المشار اليهم اجل وارفع من ان تمسهم شائبة مما رمتهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لاذنب لهم في حياة الشيخ المعروفة الا انضمامهم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه وغضبه على حكومتنا — وهي لم يمض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا الغيظ والغضب — الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل للفاضل الاجل حضرة رفيق بك العظم الذي توجه اليه مراجعته انظار الافاضل من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الخطة تذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان مسلك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا يومئذ ولا أمس واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح للخلق(٢) نقول بمناسبة هذه العبارة أن منع الحكومة الحجازية للمنار كانت زيادة في رفعة قدره وحطة قدرها ولله الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دعوى كون كلامنا كان من أسباب الثورة الحجازية

من المناقشات الناشئة عن الاغراض النفسانية التي تأباها شيم قوميتنا وشهامة امتنا ، فتلافيا لضرر ما صدر من حضرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب امام الامم والشعوب لاسيا في الآونة الحاضرة، ودرءاً لما ينطوي تحت التمادي في ذلك من المساوئ المغايرة لشعار عنصرنا الشريف قدتقرر منع دخول تلك المجلة الى الممالك الهاشمية (١) . وقد ابلغ ذلك لمدير عموم دوائر البرق والبريد ومديري الجمارك في الثغور . وهذا اول وآخر جواب تمده الحكومة لكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل » اه

تقريظ المطبوعات (*)

الفجر مجلة علمية عمرانية اخلاقية يحررها نخبة من أفاضل الكتاب صفحاتها ٢٤ بقطع المنار تصدر في الشهر مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا وإدارتها (بنهج انقليترة عدد ٢ بتونس) وقيمة الاشتراك بها ستون فرنكا ويمكن الاشتراك بواسطة مكتبة المنار بمصر

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلة مفعما بالمقالات النافعة والنبذ المفيدة مما برهن على مضي المجلة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا الجزء ان المجلة فتحت باب الانتقاد والتقريظ ونقد المؤلفات الحديثة وانها عزمت على نشر فصول في حفظ الصحة .

وفي هذا الجزء أيضا مقالة في أنواع التحية في بلاد تونس وغيرها مفيدة ، ومقالة أخلاقية عنوانها (وان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا) وفيه النبذة السادسة من « سقوط الدولة الاموية » مبتدأة ببيان (قيام الدولة العباسية) ومقالة « لدى مصطفى كمال في أنقرة » وفيها رسوم قواد الجيش الوطني ومقالة « المستقبل البحري الالماني » و « علم ابنك الصدق » وغير ذلك فنحث القراء على الاشتراك بهذه المجلة ليعلموا منها سير اخوانهم في تونس وليستفيدوا منها

الاسعاد مجلة شهرية علمية اخلاقية تاريخية أدبية تصدر في بندر الصعودية من اقليم البحيرة للاستاذ الشيخ محمد زهران وقيمة اشتراكها خمسون قرشا في السنة وسنتها ١٢ جزءا

---

(١) كانت الممالك الهاشمية كلها جزءاً من ولاية الحجاز ولكنهم يقلدون الدولة العثمانية بكلمة الممالك الشاهانية

*) كتب تقريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

من مباحث الجزءين الرابع والخامس من السنة الثانية : فضل المعلمين ومذمة الرياء ، تذكير العلماء بالعمل بالعلم ، القوة ، فلسفة الوجود ، أخلاق السلف الصالح ، خطبة جمعية ، تاريخ الرسول (ص) وغير ذلك . ومن مباحث الجزء ٧ المؤرخ في المحرم سنة ١٣٤٠ « ان الدين يسر » و « حال ملوك السلف وعلمائهم » و « الشعراء في مجلس عبد الملك بن مروان »

الصباح جريدة عربية اللغة والمنزع وهي لسان حال المؤتمر الفلسطيني والوفد مديرها محمد كامل البديري ومدير التحرير يوسف ياسين تصدر ثلاث مرات في الاسبوع مؤقتا وقيمة اشتراكها ١٢٥ قرش صاغ مصري في القدس و ١٥٠ في سائر البلاد العربية و ١٧٠ في البلاد الاجنبية

صدر من هذه الجريدة ثلاثة أعداد مفعمة بالمقالات النافعة والاخبار الخارجية والداخلية المفيدة

لي الامل بأن الصباح سيؤدي خدمة جلى لقومه ووطنه بايقاظ النفوس الى ما ينهض بالامة الى الذروة بتوخي الحقائق لما لمدير تحريره الفاضل من الاطلاع في المسألة العربية والحقائق السياسية وبما لقلمه من التأثير اذا لم يغتر بخديعة الانتداب لفلسطين والعراق ويحمل كل همه في كفاح احد اعدائه وهو الصهيونية ولم يكن معرضا لهؤلاء المغرورين الذين يطلبون لبلادهم ما نال المصريون وبذلوا النفس والنفيس للتفصي من عقاله والفكاك من قيده

لسان العرب جريدة يومية يصدرها في القدس المحرر الشهير والصحفي القديم ابراهيم سليم افندي النجار وقيمة اشتراكها السنوية ٢٠٠ قرش مصري في القدس و ٢٥٠ قرش في الخارج

حسبنا من تقريظ اللسان اسم مديره ابراهيم افندي النجار ذلك الكاتب الذي كان يود خدمة العرب بخدمة الفرنسيس أو العكس فاذ لم يمكن جنح الى خدمة الانكليز والحجازيين لانه يرى أن قيام العرب بأفرادهم مما لا يتيسر له معه خدمتهم ، وكم قام ابراهيم افندي بمشروعات وكم كافح الايام بأسنة الاقلام لجزاء الفرنسيس جزاء سنمار وان كان يمت اليهم بوشيجة النسب وكان يرى خدمتهم من أجل القرب

پيغام مجلة أسبوعية يصدرها باللغة الاوردية مولانا أبو الكلام الكاتب القدير في كالكته الهند ومديرها عبد الرازق مليح آبادي

وهي تبحث في شئون الهند والشرق الادنى والعالم الاسلامي وحسبها أنها يحررها احد تلاميذ مدرسة الدعوة والارشاد تحت اشراف مولانا ابو الكلام صاحب مجلة الهلال الهندية الشهيرة